إلى القارئ

السلم الابدية بين قرطاج وروما

بقلم : البشير بن سلامه

فى الثانى عشر من فيفرى 1985 أمضى الاستاذ الشاذلى القليبى رئيس بلدية قرطاج مع زميله شيخ مدينة روما اتفاقية السلم الدائمة بين المدينتين . وكان ذلك مناسبة لتبادل الكلمات ولابراز المعانى والعبر التى يمكن استخلاصها من توقيع الاتفاقية وهى فكرة كان الرئيس الحبيب بورقيبة اقترحها من قبل ولم تسمح الظروف السياسية فى ذلك الوقت بادخالها حيز التنفيذ .

ولعل الذين لم يدركوا أبعاد هذا الحدث ذهب فى ظنهم أنها مجرد فرصة اغتنمها أهل السياسة كعادتهم لصرف الناس عن قضاياهم الحقيقية ولفت انتباههم الى مواضيع لا تفيدهم فى معاشهم بله معادهم وانه ليس أفضل من مواجهة الاحداث التى تحف بنا من كل جهة وهى آنية وظرفية تلح علينا إلحاحا حادا وتقتضى أن نجردها مما علق بها من أوصاب السنين وثقل الازمان ورواسب الماضى .

غير أن الملاحظ النزيه أو صاحب الرأى الحصيف لا يمكن له إلا أن يفهم ابعاد هذا الحدث فى صيغته ومحتواه وأثره فى مجرى الامور ومعناه العميق فى نفوس الافراد وبين الشعوب . ذلك أن الصيغة المتمثلة فى ابرام السلم الدائمة بين قرطاج وروما من شأنها أن تلفت الانظار وتستقطب الاذهان

وتستفز النفوس لمزيد المعرفة والتروى فى فهم الحدث حتى لا يدر مر الكـرام ويتبخر فى طرفة عين .

واذا كان مكان التوقيع هو قرطاج هذه المدينة التى شغلت ضفتى البحـر المتوسط طيلة قرون فان شعوب العالم كلها لا بد أن تشرئب أعناق أفرادها لتفهم الحدث والتروي منه . نعم قرطاج تلك التى نبعت من الاسطورة وذرت حقيقتها من الخيال ولكنها شبت وترعرعت وشمخت بين واقع النـاس : فى الحرب والسلم، فى الشدة والرخاء ، فى العظمة والتضاؤل، فى المجد والانهيار.

لقد بقيت قرطاج سواء كانت بونية أو رومانية او بيـزنطية عظيمـة فى أذهان الناس على مر العصور رغم أن ذاكرة الشعوب فى كثيـر من الاحيـان تبدو كليلة . ولكن قرطاج ـ حتى بعد تقلص العمران فيها بدخـول العـرب الفاتحين وبروز مدن اخرى لاسباب يطول شرحها ـ بقيت فى الـذاكرة مما حدا بمحرز بن خلف الى القول فيها :

خليلي مـرا بالمدينة واسمعـا مـدينة قرطـاجنة ثـم ودعـا
طلولا بها تبكى لفقدان أهلهـا كما ندب الاطلال كسرى وتبعا
وقولا لها: ما حال ربعك دارسا؟ وما بال وفد قد بناك وودعـا ؟
وخلاك من بعد أجتماع وغبطة ومن بعد تشييد خلاء وبلقعـا

حتى يقـول :

فيا صاحبى أن جزتما بربوعها خليلـي الا ناديـانى وسمعـا
فلن تسمعا الا الصدى بعد هاتف مجيبا لها ثم الرياح الزعازعـا

ولم يدر بخلد محرز بن خلف أنه سيكون لقرطاج جـولة اخـرى وأنهـا ستعرف مجدا مجددا يسامق عنان السماء وأنه سيكون لها من العمران والعز والسيادة ما يضاهى ما كانت عليه أو أكثر مناعة ورخاء وعظمة .

اما رومة فانها من ذلك الوقت بقيت صامدة امام طوارق الازمان لم تعرف ما عرفت قرطاج قرونا من انكسار وضياع بل كانت بين الجزر والمد محافظة على قوتها متصارعة مع الاحداث ثابتة الاقدام .

أما محتوى الاتفاق فمعانيه شتى وإن ما كتبه فى ذلك اليوم الاستاذ محمد مزالى ليبين فى هذه الفقرة معنى بليغا اذ قال :

« وفى المقام الاول إن قرطاج كانت تمثل الشرق أى تلك المعتقدات المتصلة بالتقاليد الدينية للشعوب السامية وكذلك طريقة فى العيش وأسلوبا فى التفكير وفى تصور العالم ومصيره هما اقرب الى ثقافة مصر الفرعونية وفلسطين الكنعانية والى عالم جزيرة بين النهرين تضاف الى ذلك علاقة جوهرية أساسية بالبحر وبالمحطات التجارية البحرية وحس تجارى عميق ومهارة يدوية عجيبة وتفتح واسع ايضا على حضارات المحيط الخارجى البعيد يخفف من حدتها روح الدقة والتعلق بالذات .

ثم إن رومة من جهتها عزما منها على البقاء وفية لجذورها كانت مدينة أناس متشبثين بالارض وكانت روابطها بالتيارات الكبرى للثقافة الهندية الاوربية تدفعها الى أن تكون رمزا للغرب .

وبالرغم عن وجود تاثيرات شرقية واضحة فان المدينة اللاتينية كانت بدون الاعراض تماما عن المبادلات البحرية منصرفة الى احياء الارض وتلقين ابنائها محبة التربة . وبحكم تعلقها بحقوق الارض أكثر من اهتمامها بالتصوف أو بالحماس الشعرى فقد شهدت فى أرضها نشاة وتطور الروح القانونية إن لم نقل : فقه القانون وحتى الحيل القانونية وفسحت المجال لدقائق الاستدلال والجدل حتى بلغت حد الاسراف فى المنطق الشكلى فى حين كان دين رومة وحياة مواطنيها اليومية تطغى عليها الروح العملية التطبيقية وتوخى الاحكام فى التنظيم » (*) .

لقد برز فى هذه الفقرة أن قرطاج ورومة عالمان متباينان وأنهما من أجل هذا ورغم جنوحهما للسلم مرات عديدة فان العداوة لها جذورها العميقة وان

(*) تأبيد السلام بين قرطاج ورومة ، بقلم : محمد مزالى ، جريدة « العمل » .

كلا منهما يستمد قوته من هذا التباين الذى يظهر فى خصوصيتيهما . ولكن الواقع يحتم الجزم بأن هذا لم يكن ليمنع التقارب والتكامل لو لم يتعمق فى الأذهان أنه لا حياة لواحد منهما الا بضعف الآخر أو زواله وأن القوة فى التوسع والاستيلاء على أراضى الغير وانتهاك أمن الطرف المقابل وتهديد مصالحه .

هذا هو الاصرار الذى ساد ويسود بين البشر قديما وحديثا : العدوان والاستثراء على حساب مصالح الغير فردا كان أو جماعة والاعتداء الصارخ على كل من كان فى غفلة من أمره مشغولا عن الذود عن كيانه مهزوز العزيمة مفلول الحزم . وإن هذا الاصرار هو الذى قاد البشرية الى هوة الفناء وزعزع اقتصادها وأمنها ثم بعد أن أطاح المتصورون بالنازية والفاشية واعتبروا بما غرقوا فيه طيلة القرون من حروب وإحن ها هو شبح ما قبل الحرب العالمية الثانية يتراءى للناس وكأنهم نسوا ما قاسوه وما كابدوه من أجل إرجاع أمنهم وثرواتهم وكأنهم لم يعيشوا الدمار والخراب.

إن توقيع هذه الاتفاقية إقرارا للسلم بين قرطاج وروما إنما هى تطرق بقوة الأذهان وتنبه بإصرار كل من يريد معاودة الكرة ونسيان إحن الماضى وهى تريد أن تعبر عن حقيقة يجب أن تسلم بها كل الشعوب والانظمة هو أنه لا غنم من العدوان وأن الربح العاجل لا يخلف الا الخسارة الفادحة وأنه يحق لبني البشر أن يوفقوا بين مصالحهم وأن يتنافسوا فى الخير وأن يتضامنوا لأن ذلك هو دوام الاستقرار والأمن والرخاء .

بهذه الصورة يخدم هذا الحدث لا مصلحة تونس وايطاليا فحسب بل هو يريد أن ينبه الى أن الغرب والشرق ـ ولو أن رؤيتيهما للكون متغايرتان ـ فى مقدورهما أن يتكاملا ويتعارفا ولو لم يتحدا فى كثير من وجهات النظر والمصالح .

البشير بن سلامة

المنهجيّة العربيّة لوضع المصطلحات من التّوحيد إلى التنميط

بقلم: د. محمّد رشاد الحمزاوي

١ ـ طرح القضيـة :

١ ـ ١ ـ ان مقاربة هذا الموضوع تستدعي حسب رأينا انْنعالجه باعتبار ثلاثة مظاهر أساسية أولها يتعلق بالسعي الى التمييز بايجاز بين التوحيد والتنميط. أما المظهر الثاني فهو وصفي بحت يرمى الى استقراء ووصف المعاجم الفنية المتوفرة اليوم فى العالم العربى والمبادرات العربية لتوحيد مصطلحاتها. ويتناول المظهر الثالث فيه بالدرس ـ وهو الاهم ـ المنهجية العربية المستعملة فى مشروع راب الدولى العربى (١) لترجمة مصطلحات الاتصالات وتعريبها والتى وضعنا أسسها ومبادئها .

---

(١) المنهجية العربية لتوحيد المصطلحات وتنميطها منهجيـة اعتمدها مشروع راب ١3/0/8١ الدولى العربى لترجمة مصطلحات الاتصالات وتعريبهـا . ولقد وضع مبادئها وأسسها وتطبيقاتها الدكتـور محمد رشاد الحمزاوى وأقرتها بعد النظر لجنة مـن الخبراء العـرب . يهدف مشـروع راب الى ترجمة 000 22 مصطلح فى الاتصالات وتشرف عليه لجنة تنسيق متكونة من 6 ادارات عربية فى الاتصالات ومنظمات دولية وعربية منها برنامج الامم المتحدة للانماء ، والاتحـاد الدولى للاتصالات وجامعـة الدول العربيـة ، والاتحاد العربى للمواصلات ، واتحاد اذاعات الدول العربيـة ، ومكتـب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلـوم ـ مقر المشروع الرباط بالمملكة المغربية . والمراد بالتوحيد وبالاحـرى التنميط ما يعبر عنه بالاعجمية (E : Standardization; F : Normalisation)

I ـ 2 ـ وعلى هذا الاساس يستحسن ان نشير الى أن مفهوم التنميط الذى نعنيه يختلف تماما عما يعنى بتوحيد طرق وضع المصطلحات من مجاز واشتقاق ونحت وتعريب (2) الخ .. كما يختلف تماما عن توحيد مناهج الترجمة وفنياتها (3) . فهو يتصل بالاحرى بعنصر هام من عناصر التوحيد وهو ما يعبر عنه بـ (F : Normalisation; E : Standardization) الذى اقترحنا له مصطلح « **التنميط** » المذكور ، تاركين مصطلح « **التوحيد** » لطرق الوضع ومناهج الترجمة التى سبق ان أشرنا اليها . وهو مصطلح مأخوذ من لغة الصناعة ، ظهر تقريبا فى سنة 1873 فى الانكليزية والفرنسية ويفيد ضبط معيار المادة المصنوعة من حيث القياس ، والمتانة ، والجودة والسلامة والقواعد الفنية المعتمدة لصنعها والمشروطة لتسويقها الخ .. ولقد اعتمدته اللسانيات الحديثة . وهو يفيد اختيار شكل أو استعمال مصطلح لغوى دون غيره من الاشكال او الاستعمالات أو المصطلحات السائدة فى ميدان معين ، وذلك بالاعتماد بالخصوص على مقاييس تعتبر شرط كفاية نظرا الى أن شرط اللزوم متوفر فى طرق الوضع ومناهج الترجمة . ولقد أخذناه من « **النمط** » . فلقد جاء فى المعجم الوسيط « النمط الصنف أو النوع أو الطراز من الشيء ـ يقال عندى متاع من هذا النمط » (4) .

I ـ 3 ـ والمراد من التنميط اعتماد نظام ييسر علينا اختيار المصطلحات ويشترط فيه ، بعد الاتفاق على طرائق الوضع ومناهج الترجمة :

أ ـ قوانين وقواعد منسجمة وموحدة تطبق على جميع المصطلحات بدون استثناء .

ب ـ الترقيم وذلك باسناد اعداد لكل مصطلح لتمييزه عن غيره كما تميز جميع الاشياء بجودتها واتقانها وقيمتها .

---

(2) محمد رشاد الحمزاوى : مجمع اللغة العربية : تاريخه وأعماله ـ تونس 1975 حيث يؤرخ ويصف ويقوم طرق الوضع التى اعتمدها مجمع اللغة العربية من 1934 الى 1970 ـ وهى تعتبر نموذجا بالنسبة لما اعتمد منها فى العالم العربى المعاصر .

(3) محمد رشاد الحمزاوى : العربية والحداثة أو الفصاحة فصاحات ـ تونس 1983 ص 75 ـ 84 حيث الحديث عن مشاكل وضع المصطلحات اللغوية وترجمتها .

(4) المعجم الوسيط ج 964/2 .

ج ـ السرعة في الاختيار مثل السرعة المعتمدة لاختيار مادة مصنعة دون أخرى . ولقد انشئت من أجل التنميط هذا منظمات وطنية ودولية منها منظمة (Infoterm) الموجودة في فيانا بالنمسا .

د ـ تجاوز طرق التوحيد الى نتائج التنميط لانه مهما كان الاتفاق على طرق التوحيد فانها لا تكفي لضمان التنسيق والاتفاق .

وذلك ما سنفصل فيه القول في الجزء الثالث من هذا البحث ، الا انه لا يعني بطبيعة الحال ان المصطلح سيعالج معالجة المادة المصنوعة لان في اللغة من الشحن النفسية والعاطفية الذاتية الاجتماعية، والثقافية والحضارية ما لا يوجد في مادة مصنوعة . فالمهم من كل هذا اعتماد منهج للعمل في ميدان اللغة مأخوذ من ميدان آخر . ولقد تأثرت علوم اللغة بمناهج الفقه والكلام ومصطلحاتهما مما يشهد به كتاب الاقتراح للسيوطي (5) . كما تأثرت بنظرية داروين (6) ومناهجها مما يشهد به في العالم العربي مؤلف جبر ضومط « فلسفة اللغة » . واعتمدت طرائق علم الاجتماع الوصفي مما تشهد به النظريتان اللسانيتان التوزيعية والبنيوية (7) كما استسقت الكثير من الرياضيات مما تشهد به نظرية الخليل في التقليب (8) والنظرية اللسانية التوليدية التي كادت ان تنقلب معها المداولات والمؤلفات اللغوية الى أشكال ومعادلات وأرقام رياضية (9) عويصة ومجحفة أحيانا. فما هي المادة ـ وبالاحرى ـ المعاجم الفنية التي سيطبق عليها التوحيد والتنميط وما هي المبادرات العربية التي اعتمدت في هذا الشأن ؟

---

(5) جلال الدين السيوطي : الاقتراح في اصول النحو ـ حيدرباد 1359 هـ ، 194 صفحة .

(6) جبر ضومط : فلسفة اللغة العربية وتطورها ـ القاهرة 1929 .

(7) لقد تاثر دي سوسير (De Saussure) بالنظرية الاجتماعية التي تزعمها عالما الاجتماع الفرنسيان ليفي برول (Levy Bruhl) ودركهايم (Durkheim)

(8) محمد رشاد الحمزاوي : من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا ـ تونس 1983 ص 155 ـ 166 .

(9) انظر في هذا الشأن مؤلفات (Harris) و (Chomsky) وفي العربية عمل عبد القادر فاسي فهري : اللسانيات العربية ـ شكل وتخريج (Linguistique Arabe : Forme et Interprétation) الرباط 1982 ـ 339 صفحة.

II ــ المعاجم الفنية ومبادرات التوحيد العربية :

2 ــ I ــ لا يمكن بأية حال من الاحوال ان نتقدم فى معالجة الموضوع ما لم نستقرىء ميدانه ونضبط حدوده . ويتهيأ لنا أن هذا الاستقراء على غاية من الاهمية لان الحكم على الشىء فرع عن تصوره ووجوده . فلا يمكن ان نتحدث عنه بطريقة انطباعية او جزئية اعتباطية ما لم تكن لنا نظرة وصفية شاملة عن المعاجم العربية الفنية المطبوعة المتوفرة فى السوق والمفهرسة فى المؤلفات المختصة.ولسنا نجازف ان قلنا: إنالمعلومات فيهذا الشأن قليلة على ما للقضية من شأن . فلقد سعى وجدى رازق غالى (IO) الى وضع مؤلف عام يهتم بجميع المعجمات العربية بما فى ذلك المعاجم الفنية وهو ببليوغرافية مشروحة ووصفية مهمة جدا . الا ان الكثير منها لا يتصل بالمعاجم الفنية البحتة بل يهتم بالمعاجم الفنية المزدوجة اللغة أو بقائمات المصطلحات اذ للمعجم ــ ولو كان فنيا ــ شروط فى الجمع والوضع لا تختلف كثيرا عن شروط المعجم العام ذى اللغة الواحدة . وذلك ما لم يتوفر فى العربية باستثناء ملحق لسان العرب المحيط (II) .

2 ــ 2 ــ ولقد زودنا جواد حسنى عبد الرحيم وعلى القاسمى بعمل جديد صدر سنة 1983 . وهو « ببليوغرافية المعاجم المتخصصة » (I2) التى تتصل بالقضية المطروحة . وهى « تشتمل على المعاجم المتخصصة فى مصطلحات العلوم والاداب والفنون ، سواء أكانت هذه المعاجم قد نشرت فى شكل كتاب مطبوع أو على هيئة مقالة أو مسرد فى مجلة من المجلات » (I3) . وهى تهم مصطلحات 39

(IO) وجدى رازق غالى : المعجمات العربية ، ببليوغرافية شاملة مشروحة ــ القاهرة I97I ــ 253 صفحة . وهذا العمل يمتاز بشروحه ووصفه للمعاجم المعنية . وذلك ما يمتاز به على عمل على القاسمى وجواد حسنى عبد الرحيم .

(II) لسان العرب المحيط ــ لابن منظور على حروف الفباء ، اعداد وتصنيف يوسف خياط : معجم المصطلحات العلمية والفنية ــ I06I صفحة .

(I2) على القاسمى وجواد حسنى عبد الرحيم : ببليوغرافية المعاجم المتخصصة ــ اللسان العربى ج 70 (I403 هـ / 1983 م) ص I35 ــ I74 والتتمة لهذه الببليوغرافية ــ ويستحق هذا العمل عرضا وصفيا ونقديا لانه جمع بين متناقضات كثيرة .

(I3) نفس المصدر ، ص : I74 .

علما ليست كلها حديثة و 260 مؤلفا تقريبا جمعت بين المعاجم والقواميس والموسوعات وقائمات الالفاظ التى وضعتها ونشرتها المجامع ومنها خاصة مجمع اللغة العربية ، والجامعات والافراد . ولقد عرضت علينا تلك البيبليوغرافية ، عارية من كل وصف أو تحليل سواء من حيث التعريف بمحتوياتها أو بمقارنة بعضها ببعض لربط الصلة بينها ولادراك التطور العام لتلك المعاجم المتخصصة ومصطلحاتها. فالمؤلفان السابقان كفيلان بتوفير المادة الاساسية لطرق موضوعنا لان قضية التوحيد لا يمكن ان تدرس اليوم بعد مرور قرنين من الجهود العربية التى ابتدأت من عهد محمد علي ـ الا بوصف هذا الرصيد الهائل ومقارنته لاستخلاص قواعد عامة يمكن الاستئناس بها ان كانت منسجمة وموحدة . وفى انتظار دراسة جامعية شاملة لهذه القضية يمكن ان نتطرق اليها من جهة اخرى تتصل بالمبادرات العربية الفردية والجماعية التى عالجت موضوع التوحيد أو التنميط أو اعتنت بأحد منهما .

2 ـ 3 ـ لقد سعينا سابقا وفى غير هذا المكان (14) الى الاهتمام بهذه القضية من خلال اعمال اعضاء مجمع اللغة العربية ومكتب تنسيق التعريب . فلقد طرحت قضية التوحيد فى المجمع منذ نشأته وطرقت فى قرارات مثبتة فى مجموعة القرارات العلمية والفنية (15) وفى بحوث لم تتجاوز العشرة سنة 1965 (16) . ولقد اشتد الاهتمام بالقضية من سنة 1955 الى سنة 1961 . فعالجها محمد رضا الشبيبى ومحمد الخضر حسين، وعبد القادر المغربى ، ومصطفى الشهابى ومحمد كامل حسين وأحمد عمار . ولقد انقسموا الى نزعتين احداهما تعتمد التراث والاخرى العلوم الحديثة مع تأكيد النزعة الثانية على المبادىء التالية :

أ ـ الاتفاق على منهجية عامة ولو كانت اجبارية لمواجهة البلبلة فى المصطلحات العلمية .

ب ـ اعتماد الترجمة او التعريب اطلاقا او تخصيص ميدان كل واحد منهما بحسب العلوم .

---

(14) محمد رشاد الحمزاوى : العربية والحداثة او الفصاحة فصاحات / تونس 1983 ص 85 ـ 114 .

(15) مجمع اللغة العربية بالقاهرة : مجموعة القرارات العلمية والفنية ـ القاهرة 1963 ، 201 صفحة .

(16) محمد رشاد الحمزاوى : العربية والحداثة ... ص 88 وما بعدها .

ج ـ الاعراض عن النحت عامة الا عند الضرورة الملحة .

د ـ ترك الكتب القديمة تماما او الاخذ منها بحذر .

هـ ـ التوحيد لا ينشأ من الترجمة وغيرها بل من وجـود نظريات علميـة عربية تؤيد التأليف وتؤازر الانتاج وتنسق المعارف فى نظام عام موحد مثلما هو الشأن فى العلوم الاوربية وغيرها. والملاحظ أن المشكلة تنحصر فى الخلط بين مفهومي التوحيد والتنميط : فالتوحيد يفترض بطبيعته ان ينشأ الخلاف بين اصحابه ان اعتبرنا مشاكل الترجمة فحسـب . اذ لا يتصـور ان يترجـم مترجمان نفس المصطلح او نفس العبارة بنفس الالفاظ ـ لان الترجمـة حسب البيروني خيانة وهي حسب رأينا فتنة ـ فقواعد التوحيد ضرورية في شأنها لكن لابد ان تستكمل بقواعد التنميط ـ فهل حصل شيء في ذلـك ؟ ذلـك ما سعى اليه مكتب تنسيق التعريب .

2 ـ 4 ـ ان تكوين مكتب تنسيق التعريب يعتبر جوابا عربيا عـلى السؤال المطروح . فلقد أسس لمعالجة هذه المسالة بالخصوص . فهو يكون اول مبادرة قانونية لغوية ، وحدثا تاريخيا مهما فى الحياة العلمية والثقافية العربية . ولقد دعى الى تنسيق التعريب وتوحيد مصطلحاته . فوحد منذ انشائه الى حدود 1983 ما يقرب من 000 70 مصطلح فى 23 علما تقريبا فى المرحلتين الثانوية والعالية من التعليم ، فضلا عن مشاريع المعاجم التى هى تحت الدرس . ولقد عالـج قضية التوحيد بالطريقتين التاليتين :

(أ) استقراء جميع مصطلحات العلم الواحد الموضوعة في العـالم العربى وعرضها على اختصاصيين لاختيار الصالح منها بالزيادة أو الاسقاط ، وعرض اعمال الاختصاصيين تلك على مؤتمر تعريب عام متكون من لجان مختصة ومن جلسة عامة تختار بعد النظر والمناقشة مـا يعتبر أحســن المصطلحات تاديـة للمصطلحات الاجنبية فى مختلف العلوم . والملاحظ ان هـذه الطريقـة الاولى لا تعتمد على مقاييس معينة مقيدة .

(ب) منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة التى وحـدت فى نـدوة مختصة انعقدت بالرباط من 18 الى 20 فيفرى 1981 (17) . ومن أسس التوحيد

---

(17) مكتب تنسيق التعريب : ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلـح العلمى العربى ـ اللسان العربى ـ المجلد 18/1 ص 175 ـ 178 وقد شاركنا فيها كعضو من الوفد التونسى .

اعتماد طرق الوضع من مجاز واشتقاق وتعريب ونحت عند الضرورة ، وتفضيل الفصيح المتواتر على المعرب ، وتجنب الكلمات العامية ، واختيار الصيغة الجزلة الواضحة ، والكلمة التى تسمح بالاشتقاق والكلمة المفردة على المركبة ، والدقيقة على الكلمة العامة ، والمرادف الذى يقرب من مفهوم الجذر الاصلى – الخ ... والملاحظ كذلك انها مبادىء عامة لا تختلف عن المبادىء التى سبق لمجمع اللغة ان وضعها . وهى متصلة بطرق الوضع ومناهج الترجمة كذلك . فهى صالحة للتأويل والتخريج خاصة عند التطبيق – لذلك نرى ان القضية مازالت تحتاج الى علاج جذرى يوحد بين مواقفنا وان كانت مصطلحات اللغة ميدانا لا يدرك منه شىء حتى يتطور مستدعيا نُفسا جديدا ومصادرات مبتكرة للالمام به وترويضه .

واعتبارا لما سبق رأينا من المفيد ان نعرض طريقتنا فى التنميط التى وضعناها اعتمادا على اهتمامنا المتواصل بهذه القضية وسعيا الى اقتراح منهجية عربية فى التنميط استقر الرأى على الاخذ بها فى مشروع راب لترجمة مصطلحات الاتصالات وتعريبها .

III – **منهجية التنميط** (I8) : **مبادؤها وتطبيقاتها :**

3 – I – لابد ان نؤكد ان هذه المنهجية ليست مخلوقة من عدم . فهى ليست بدعة بقدر ما هى مستمدة من المنهجيات العربية السابقة . ومنها منهجيات مجمع اللغة العربية ومنهجيات مكتب تنسيق التعريب بالخصوص . وهى مستوحاة كذلك من المنهجيات التى وضعها اللسانيون فى الاقطار المتقدمة لاسيما منهجيات منظمة التنميط الدولية .

3 – 2 – وهى تعتمد على شرطين أساسيين وعلى أربعة مبادىء :

(أ) الشرط الاول ينتسب الى ميدان التوثيق ويستلزم أساسا الاتفاق اتفاقا واضحا على قائمة من المصادر والمراجع تتصل بميادين اللغة العامة

(I8) لابد ان نؤكد تأكيدا خاصا على أن منهجية التنميط عملية تابعة لعمل الترجمة والوضع ومالهما من طرائق ومناهج سبق ان اشرنا اليها . وهما يكونان شرط اللزوم والتنميط شرط الكفاية – فطرق الوضع وفنيات الترجمة توفر المادة الاساسية أى توفير جميع المصطلحات الموضوعة للمفهوم الواحد ومناهج التنميط تتكفل بالتوحيد والاقرار .

والمتخصصة وتحيط بالموضوع المطروق احاطة كاملة . وذلك يستوجب الارتباط بها وعدم الخروج عنها الا عند الضرورة القصوى والا انعدم كل عمل جماعي منظم ومنسق . فالموسوعية بقدر ما تعتمد لوضع تلك المصادر والمراجع ، مدعاة الى الفوضى ان استعملت للخروج عن تلك المصادر والمراجع المقررة بعد التحرى والتقصى . وتلعب تلك المصادر والمراجع المقررة دورا فعالا مرقما فى التنميط كما سنرى .

(ب) اعتماد الكيف والكم . ومعنى ذلك ان التنميط يفترض عناصر كيفية تحدد قواعد الاختيار وعناصر كمية تضبط العناصر الكيفية بالارقام .

3 ـ 3 ـ مقاييس التنميط كيفا :

1 ـ الاطـراد :

وهو يعتمد عموما رواج المصطلح بين المستعملين له عند عامة الناس أو عند المتخصصين .

وهو يقر باعتماد طرق الاحصاء فى الحالات الفضلى أو بوجوده مستعملا فى مصادر عدة تتراوح بين 2 و 5 . (انظر لوحة الاطراد) .

2 ـ يسر التـداول :

ومعنى ذلك أن يكون اللفظ سهـلا ييسر التخاطـب والتواصـل ، ولـذا يستحسن الا يكون طويلا أو مركبا من جملة والا يكون معقد الشكل : وفى عملنا هذا سنعتمد عدد الاصول التى يتألف منها المصطلح (انظر لوحة التداول) .

مثـال : راديوم تصبح راد

3 ـ الملاءمـة :

ان يلائم المصطلح المترجم المصطلح الاجنبى ولا يتداخل مـع غيره . وتكون تلك الملاءمة ضعيفة ان توسع معناه . فكلمة (Routine) بالفرنسية ضعيفة الملاءمة لان معناها العام أقوى من معناها التقنى . أما كلمـة حامض فهى قوية لانها تلائم (Acide) دون غيرها . وهنا ينظر فى عدد الميادين التى يستعمل فيها المصطلح . (انظر لوحة الملاءمة) .

4 ـ الحوافــز :

كـل ما يحفز المستعمـل على اختيار المصطلح بسهولة من ذلـك : صيغتـه البسيطة ـ الاشتقاق منه ـ تركيبه الصرفي الواضح ـ تجنب الطول والغرابة والحوشي والنحت الغـريب المعقـد مثـل : حامض هيدرو حديد وسيانيـك (Acide Hydroferficyanique) (انظر لوحة الحوافز)

3 ـ 4 ـ مقاييس التنميط كما :

لقد وضعت هذه المقاييس لتجنب الخلافات والمجادلات حول اختيار مصطلح دون آخر . وهي تطبيق مرقم لمنهجية توحيد المصطلحات التي وضعهـا مكتب تنسيق التعريب المعروفة بـ «منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي» المنشورة باللسان العربي عـدد 18/1 ص 175 ـ 176 . بحيـث تسنـد الاعـداد لمقاييس الكيـف .

(أ) الاطـراد او الشيـوع :

يضبط على اساس المصادر والمراجع التي تثبـت المصطلح العربي المقابـل بمفهـوم أو آخـر .

عدد المصادر والمراجع المثبتة للمصطلح	العــــدد
5 م. م. أو أكثر	10
4. م. م.	8
3. م. م.	6
2. م. م.	4
1. م. م.	2

(ب) يسـر التـداول :

يضبط على أساس عدد الحروف الاصول التي يتركب منها المصطلح الموضوع أو المقتـرح .

عدد الحـروف الاصـول	العــــدد
الثنـائي الحـروف	10
الثـلاثي الحـروف	8
الربـاعي الحـروف	6
الخمـاسي الحـروف	4
السـداسي الحـروف	2

ج) **الملاءمـــة** : تضبط بحسب الميادين التي يستعمل فيها المصطلح .

عـدد الميـاديـــن	العــــدد
ميـدان واحـــد	10
مـيدانـــان	8
ثلاثــة ميادـيـــن	6
أربعــة ميـاديـــن	4
ستــة ميـاديـــن	2
أكثـر من ستــة ميادـيـن	1

د) **الحـوافـز** (الاشتقاق) : يضبط بحسب المشتقات الـتي تشتق مـن المصطلـح المقتـرح

أنـواع المشتقـــات	العــــدد
10 مشتقـات فأكثـر	10
9 مشتقـــات	9
8 مشتقـــات	8
8 مشتقـــات	8
7 مشتقـــات	7
6 مشتقـــات	6
5 مشتقـــات	5
4 مشتقـــات	4
3 مشتقـــات	3
مشتقـــان	2
مشتــق واحـد	1

3 ـ 5 ـ التطبيـــق :

ولا شك أنه يبقى للحس اللغوى دور فى الاختيار النهائى واقـرار الذوق الحسن . وهذا يقتضى تطبيق شروط التنميط وثائقية كانت أو مبـدئية أو مرقمة ويقتضى كذلك المعالجة النهائية للمصطلح .

د. محمد رشاد الحمزاوي

من شعر كرسى

الأقزام

شعر : نور الدين صمود

مَنْ مُجيري مِنْ عالَمٍ كلّ قزم … صارَ فيه، من حُمْقه، عِملاقا؟
كُلّ ذَيْلٍ قد صارَ رأْسا وأضحى … كلّ رَأْسٍ ، في موضعِ الأقدامِ
فتأمّلْ تجِدْ أُناسًا لِئامًا … ما لَهُمْ في الحياةِ أَيّةُ قيمهْ
يتاهوونَ كالهشيمِ إذا ما … هبّتِ الرّيحُ في بقايا الزّروعِ
دعّموا النّفس بالنّفاقِ وأضحوا … كاليرابيعِ تحفِرُ الأنفاقا
وغدَوْا كالصّلالِ تزحفُ زحفا … يجعلُ النّفسَ في مهاوي المهانهْ
« طبّلوا ثم زمّروا » ثمّ قالوا : … « أنتمُ النّاسُ أيّها الأسياد»
وأذلّوا النّفوسَ ذُلاّ ، وظنّوا … عِندَ أسيادِهِم عِظامَ المكانهْ
وهُمُ بينهُمْ أذلاّءُ ، لاحُوا … مِثلَ فأرٍ ما بينَ أنيابِ هِرّ
فهْوَ في حضرةِ الكبارِ ذليلٌ … وجبانٌ لا يستطيعُ حراكا
مالهُ ، إنْ تكلّموا ، أيُّ رأْيٍ … لا تراهُ يقولُ إلاّ : « موافِقْ »
وهْوَ في رأيِهِمْ حصيفٌ ذكيٌّ … وهْوَ عِندَ الجميعِ شرّ منافِقْ
(وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ … طلبَ الطّعنَ وحدهُ والنّزالا)

الى « معين بسيسو »

بقلم : مصطفى الفارسي

عندما التقيت بك (*) أول مرة فى المآتا عاصمة كازاكستان لم يكن لى بك سابق معرفة .. لم أقرأ لك شعرا ولا نثرا .. لم يجمعنا لقاء قبل . ولجنا الطائرة التى ستقلنا الى ايريفان عاصمة أرمينيا لا حديث ولا حتى مجرد تحية كان ذلك منذ أربعة عشر عاما خلت . وكنت فى أوج العطاء . سمعتك تحدد مسؤولية الشاعر المناضل فى كلمات رسخت فى ذاكرتى كابيات الشعر تنحت على الصخر .

قلت : « عندما يمد الشاعر يده للتحية فانت لا تلمس فى الحقيقة جسده لانه يحييك بدمه كما يكتب الشعر بدمه » . وحييتنى وأرادت الاقدار ان تمكث يدك فى يدي حتى ذلك اليوم الذى كنت أنا فيه طريح الفراش معلق الرجل غائر العينين مدمر القلب والرئتين مدعوا الى سفر بعيد لا رجوع منه. عدتنى وودعتنى ... وبقيت أنا وذهبت أنت وها هى سنة تمر على يوم الفراق ذاك وكأنى بيدك تعود اليوم الى يدي دافئة مطمئنة مبشرة بلقاءات ستكون لنا فى القدس التى ترفض السرج واللجام .

ونجتمع اليوم حولك يا معين فى الذكرى السنوية الاولى « لوفاتك » لنذكر بكلماتك الخالدة فنصبح أقل خوفا من الموت ... لنقهر العدم .

واذكر انك فى جلسة من جلساتنا فى اتحاد كتاب آسيا وافريقيا تناولت الكلمة لتشكر مضيفينا وتتقدم ببعض المقترحات العملية بالنسبة الى الاجتماع

(*) هذه الكلمة التى ألقاها باسم وزارة الشؤون الثقافية واتحاد الكتاب التونسيين الاديب « مصطفى الفارسى » فى الذكرى الاولى لوفاة الشاعر الفلسطينى معين بسيسو .

القادم الى غير ذلك مما نقول عادة في مثل هذه المناسبات وكان من المفروض أن ألقى بدوري كلمة باسم اتحاد الكتاب التونسيين فقلت متسائلا وقد سباني كلامك وسحر بيانك : « وهل يتكلم بعد معين بسيسو ؟ » وسكت لان فلسطين تكلمت باسم تونس وباسم العرب جميعهم وكانت كلمتها معبرة ... والألم دائما معبر .

كلمتك يا معين باقية لانها في صميم آلام الناس التي صورتها أبدع تصوير لا بصفتك الناقل الامين لتلك الآلام ولا المردد لأنات المعذبين في الارض بل لانك أنت الألم بالذات وأنت الصياح وأنت العويل وأنت السخط ... معا وفي نفس الوقت ..

كل كلمة قلتها يا معين كانت خطوة وكانت الطريق أمامك طويلة ... فمن اختصرها ..؟ ولم اختصرها ؟

« سفر ... سفر » .

أنا عشت القصيدة ... قصيدتك من الينبوع الى قوس قزح وكنت فيها شاعرا متألقا عملاقا .

وأسائل نفسي : « هل حقا مات معين بسيسو ؟ » .

وكأني بصوتك المجلجل أبدا يذكرني بقصة شاعرك العربي القديم الذي أمر الحاكم الذي هجاه بأن يحضر مكبلا في اصفاده وان يجبر على محو الابيات التي نقشها على الحجر بيده فذابت يده اليمنى ثم ذابت اليسرى وأجبر الشاعر على محوها بوجهه فذاب جلده وسقط ... سقط الشاعر لكن بقيت على اللوحة الحجرية كلمة « لا » شاهدة له بالصمود وعلى الحاكم الجائر بالغباء والجبن .

صمودك يا أخي العزيز في وجه النائبات التي انتابت وما زالت تنتاب شعبك البطل نقشته على الحجر ... على جدران قلاع الشرف وكم للشعب الفلسطيني من « قلعة شقيف » ! .

أحببت تونس وألقيت بها عصا الترحال ... لأمد ... وقلت : « هنا يا رفيقي مصطفى سيكبر البرتقال والرمان والتين وسيثمر في حديقة منزلي.. أمام عيني. وكان ما أردت . اقتنينا الشجيرات وغرسناها في حنو وكثير من الصبر والحذر ... كالاحلام نذودها ونخشى عليها العطب . كنت تجلس اليها تحدثها في لطفك المعهود عندما تروي حكاياتك للاطفال ... لتلك التي في

العاشرة من عمرها تبحث عن خارطتها بنفسها وعن نشيدها الوطني وعن كل شيء يثبت انتماءها الى وطن ... لانهم لم يقدموا لها ذات يوم لا جغرافيا ولا تاريخ فلسطين .

معين بسيسو الشاعر المناضل نصفه طفل ونصفه الآخر مقاتل . كنت شاعرا وكانت أبياتك تنعش الثورة ولا تنفك تذكيها . ذاب شعرك في النضال وذاب النضال في شعرك وستغدو جداولك شلالات وتنمو الثورة ... تنمو حتى تصبح « جبل نار » وخيمة دم في الريح منصوبة . الفكر كان ولم يزل عندكرصاصةوالعقل لديك أخ البندقية ... توأمان متلازمان .

لم ترد أن تترك ثأرك للتاريخ ... ثارك ضد أولئك الذين يتركون الطفلة تبحث وحدها عما يؤكد انتماءها الى أرض . شهرت بالكلاب البوليسية الادبية وقطط دور النشر بشعرائها وكتابها الاكثر توزيعا والذين « هربوا الى حيث تقف الدبابة الاسرائيلية » .

لذلك لم تدس رأسك في الوسادة الناعمة في انتظار أن تنزاح من أمام عينيك المشاهد المزعجة وان تنسى بعد ذلك الألم وقد شغلك عنه بهرج الحياة وزخرفتها الحالية من كل لب . أدبك يا معين نابع من ذاتك .. رجوع الى النفس ومحاسبة مستمرة .

الـم ... الـم ...

والاصبع عندما يقع على الجرح يصبح سكينا ... الاصبع يؤلم وكم من مرة وضعت اصبعك على الجرح ... فتألمت والمت .

سفـر سفـر ...

سار القطار الذى لم يفطم بعد لانه ما زال يرضع من حليب شجرة الورق... سار القطار وانطلقت صفارته مذ «غابت عن يديك عيوننا..وركبت قبرا آخر.. وأصبحت شيئا آخر ... » سار القطار ... ولعلك الآن تعرف وسط هذا البلقع ... من كان من الذئاب عليك ... ومن معك .

وأعرف أنا ... أعرف انك كنت مع من « علم النوارس القراءة والكتابة ودروس الرسم .. ومن صار وجهه عاصمة لكم » .. معشر الفلسطينيين ... ذاك الفلسطيني الذى اسمه ياسر عرفات والذى تقول فيه :

« وانـا وانـت هنـا ... ومـن كفيـك وجهـي يبتـدىء
هـذا هـو المتـراس داليـة من النيـران غطاهـا النـدى
وانـا معـك »

علمتني يا معين أكثر من حكمة لا تحصل الا للمشردين الضاربين في أرض الله وما من مقر . قلت : « أنا ريشة من بين الريش الذى يغطى جسد الصقر الذى كنا فى سابق الزمان والذى نريد ان نكون فيمـا تبقى من الدهـر » . وقلت : « الشاعر اليوم لا ينتمي الى قبيلـة بعينهـا أو بطـن منعـزل عـن المجموعة . نحن عرب . وعلينا أن نتحمل مسؤولياتنا فى النصـر كمـا فى الهزيمة ... وبعد هذا وذاك .. نحن بشر قبل كل شيء .. وعلينا ان نتحمس لرسالتنا الانسانية كبشر » . وقلت : « تعلمت صناعة الشعر طفلا فى غـزة كما يتعلم الاطفال أصول السباحة . لكن ما أعسر أن تسبح فى قطرة حبر ... فى قطرة دم ... » . وقلت : « همى كل هى ... أن يقرأني الانكليزى والالمانى والامريكي والروسى والصينى وان يخرج من قراءة شعرى وقد امتلأت رئتـاه بحب فلسطين » . وقلت وقلت وقلت ... وأنا استمع اليك كمن يقرأ فى كتاب مفتوح ... وأحببت من خلالك فلسطين وأصبحت من أجلك ثورة .

أقـول اليـوم :

ما زلت يا معين بيننا وما زلت تتكلم ... ما زلت تنبه الى فداحة الخطر من الشعور بالراحة النفسية بالنسبة الى عدد كبير من الكتاب والشعـراء هنـا وهناك ممن يصمتون أمام حرب الابادة المهندسة ضد الفلسطينيين والوطنيين اللبنـانيين .

قلت لهم : « عبثا تحاولون أن تاكلوا خبزكم بلا دخان ... ان الدخان يفوح حتى من الموسيقى التى تؤلفون لأطفالكم ... والدخان سيصعد من الورق الذى ستكتبون عليه ... فالدخان علق بأيديكم ... وعبثا تحاولون غسله بالحبر » .

وقلت لهم : « ما أكثر الكتب الرديئة التى جرتهـا وراءهـا على القضبـان قطارات الثورة المضادة ! » .

وأقول اليوم : « أنت يا معين من معدن كريم . أنت عندما كتبت وجهت قصائدك الى قارىء واحد ... ذاك الذى سيطر على كل ما كتبت دون شفقة ولا رحمة . وحالفك الحظ لان قارئك الوحيد ظهر لك فى وقت مبكر فكتبت لـه قصائدك كانها رسائل وجهتها اليه هو دون أى أحد سواه . وكلما كتبت له بشكل أفضل أحسست انك اقتربت منه أكثر فأكثر ... قارئك هذا ليست له قومية محددة ولا جنس ولا دين ولا لون بعينه . قارئك ـ وانت من وطن يبحث عن وطن ـ ملايين من القراء .. يقرؤون فى كل اللغات .. فـى كـل القارات .. فهنيئا لك يا أخى .. يا عنقود عنب تفجر فى الفضاء .. « عنقـود فوق رغيف .. والشاعر يمشى .. فوق زجاج شبابيك العالم .. يصنع لغـة أخرى .. يتشكل صوتا آخر .. بين رصيف ورصيف » .

أنا وأنت يا معين تعلمنا من شجر الزيتون كيف نكون وعرفنا أن صوت الشاعر كصوت أجراس المدارس لا ينسى وانه كصوت قطـرات المطـر فوق زجاج الشبابيك .

أقـول اليـوم :

لم أكتب عنك بعد يا أخى معين ... لانك تستحق أكثر مما بوسعى الآن أن أكتب فيك .. أن أقول عنك .. لم يحن الوقت بعد .. الجرح ثخين لم يندمل بعد ... لا بد أن تلون الفراشة أصابعى وأنا أكتب عنك وفيك ... لم يحـن الوقت بعد ... لم تطر بعد بأرجائى تلك الفراشة التى حدثتنى عنها وقلت : « انها الوارثة الاولى للضوء والنار وبطلة الرمـاد الذى من عجينتـه تـأتى الكهربـاء » .

أنت يا معين من أغصان شجرة الصداقة فى « سـوتشى » تتـدلى منهـا كالبراعم البيضاء بطاقات تحمل أسماء أولئك الذين أعطوا اسماءهم وأصواتهم لشعوبهم وللبشرية جمعاء ... بابلو نيرودا وعزيز شريف وفايز أحمد فايز وناظم حكمت ... وأنت يا معين .. أنت وهم .. .. وهم كثر .

كل ثمرة من هذه الشجرة الطيبة التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء تتحول الى كأس ... كأس نرفعها ــ نحن الأحياء ؟؟ ــ في مناسبات نخب من أعطوا قوة الدوران للارض وللحياة ... احياء لذكراهم وتمجيدا لأسمائهم وتخليدا لآثارهم .

هنيئا لك يا رفيقى معين ... يا شاعرا له وجه الينبوع ... « تحس انه صخرة من الورد يربض سرب من الغزلان على أغصانها » .

هذه آيات من آياتك سأظل أرددها ــ ما حييت ــ لأصبح أقل خوفا من الموت .

على نخبك يا معين ...

قل لى بالله عليك قل لى : من أى قطرة تراب بدأت شجرة الصداقة فى سوتشى ؟ أمن دم الشاعر العملاق بوشكين الذى سقط برصاص اللقيط دانتس ؟ وهل يكتب لنا ــ مثلك يا معين ــ ان تغوص فى دمنا جذور شجرة الصداقة ... فى سوتشى ؟ .

مصطفى الفارسى

المنزه ــ 20 جانفى 1985

باقة عشق إلى «تينس البيضاء» (*)

شعر : الهادي شرف
(أبو وجدان)

(إن الطيور على أمثالها تقعُ)   حطت على شجرٍ فانتابهُ الوَجعُ
إني أحبّ بلادي من سيَمْنعُني   حتى ولو منَعُوني ؛ كيف أمتنعُ ؟
لما رأوني مجداً في محبّتِها   خافوا نواها ، إذن في عشقها شرعوا
يكفي بأنّي جعلتُ البعض يعشقها   والبعض يكرهني والبعض بي ولعوا
والبعض من ضعفه قد ظنّ أن يدي   تمتدّ من تحته الكرسيّ تنتزع
إن أوجع الشجر المعطاء ما قذفوا   فالقذفُ يسقط أثمارا ، فهل زرعوا؟
هل نال مني ذوو القربى سوى تعبي   إن نلتُ منهم جحودا فهو لي مُتعُ !
الأنبياءُ مضتْ أيامُهم وأرى   مَنْ قام يُبدع قالوا : فعله «بِدَعُ !»
أو لفّقوا تهمة ، قالوا : «يعارضنا   حتى ولو كان منا . وجههُ بَشِعُ »
هذا التّخلُّصُ مني لعبةٌ نجحت   قبلي ، ولكن معي في خيبةٍ وقعوا
كم من مُعارض أهوى أن أحاورهُ !   صِدْق الحوار به الآمالُ تتّسِعُ
يَخْشَى الحِوارَ الذي في جيبه حجر   للقذفِ حتّى الذي قد جاء يَستمِعُ
هذي الطبيعةُ قصفَ الرعدِ تُسمعنا،   لحنَ البلابلِ حينَ الغيمُ ينقشِعُ
والبحرُ ليس هديرُ الموجِ فاض بِهِ   لكن لهم منه تأنيبٌ ، فهل سمعوا ؟
لن يسمعوا الموجَ ما دامتْ أناملهم   بين الشفاهِ . أحلوَى؟ أم ترى شمعُ ؟
إني عشقت .. وبعض العشق يقتلني   جسما .. وروحي بنار العشقِ تنتفعُ ..

(*) تينس البيضاء : هو الاسم البونيقى لمدينة منزل تميم .

دور الأدب العربي في مواجهة التحديات

بقلم : نور الدين بلقاسم

هــدف البحــث :

الباحث فى موضوع « الادب العربى فى مواجهة التحديات » يجد صعوبات عديدة ، لان الموضوع شائك وعسير فى آن واحد . شائك من ناحية لاننا لا يمكن أن نحيط بكل جوانب هذا الموضوع فى عجالة كهذه ، وعسير من ناحية أخرى لان طبيعة الموضوع تتطلب منا أن نحدد بدقة معنى التحدى ، وأن نتتبع بامعان مسيرة هذا الادب عبر مراحله المختلفة حتى نرسم دوره النضالى فى سبيل حياة انسانية أفضل .

ولا شك أن هذا يتطلب منا السنين العديدة من البحث والتنقيب والمثابرة وهو ما لا يتوفر لنا الآن . وحسبنى فى هذا الموضوع أن أدلى برأيى ، موردا أثناء ذلك عينات أدبية ـ فى المقدمة بالخصوص ، وذلك للتدليل على دور الادب العربى فى مواجهة التحديات منذ بداياته الاولى .

مقدمة البحــث :

منذ القديم بعث لقيط (ت نحو : 250 ق هـ/380 م! (1) برسالة شعرية الى قومه من قبيلة اياد يحذرهم فيها من غدر كسرى (2) ، ويحثهم فيها كى يجتمعوا حتى لا تفاجئهم جيوشه وهم متفرقون فتقضى عليهم .

---

(1) لقيط بن يعمر (وقيل معمر) الايادى . كان من عرب العراق وأشهر شعره القصيدة التى حذر فيها قبيلته من كسرى .
(أنظر فى شأنه الشعر والشعراء لابن قتيبة : 97 ، الاغانى 20 : 23 ـ 25 كارل بروكلمان الترجمة العربية : 1/2/1 ، مختارات الشعراء

وكان لقيط يعمل كاتبا فى ديوان كسرى ، ولانه أبى أن يكون أداة للغدر بقومه العرب فقد استقال من منصبه ، بعد أن أرسل اليهم يحذرهم بقصيدة اخترنا منها هذه الابيات :

صونوا جيادكم واجلوا سيوفكم ... وجددوا للقسيّ النبل والشرعا
لا تثمروا المال للاعداء انهم ... ان يظهروا يحتووكم والتلاد معا
يا قوم ان لكم من ارث أولكم ... مجدا قد اشفقت ان يفنى وينقطعا
ماذا يرد عليكم عز أولكم ... ان ضاع آخره او ذل واتضعا
يا قوم لا تامنوا ان كنتم غيرا ... على نسائكم كسرى وما جمعا
هو الفناء الذى يجتث اصلكم ... فمن رأى مثل ذا رأيا ومن سمعا
قوموا قياما على امشاط ارجلكم ... ثم افزعوا ، قد ينال الامن من فزعا
وقلدوا امركم - لله دركم - ... رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا
لا مترفا ان رخي العيش ساعده ... ولا اذا عض مكروه به خشعا
لا يطعم النوم الا ريث يبعثه ... هم يكاد شباه يقصم الضلعا
ما انفك يحلب هذا الدهر اشطره ... يكون متبعا طورا ومتبعا
وليس يشغله مال يثمره ... عنكم ولا ولد يبغى له الرفعا (3)

لابن شجرى : 2 - 7 ، th. Noeldeke, Orient U. Occident 1,689 FF
الاعلام للزركلى 6 : 109 - ط 3) .

(2) أجدبت ديار قبيلة اياد فى تهامة ، فارتحلت وأقامت قرب الحيرة ، ودارت مناوشات بينها وبين الفرس ، فضاق كسرى بها وأرسل ليبطش برجالها ويجليها من مكانها ، لكنها هزمت جيش كسرى فى موقعه عنيفة قرب الفرات ، وجمعت جماجم قتلى الفرس فى مكان الموقعة فاطلق عليه دير الجماجم . وأراد كسرى أن يثأر للهزيمة ويحتال للقضاء على رجال اياد ، فأمر لقيط بن يعمر - وكان كاتبا فى ديوانه - أن يبعث برسالة الى قومه ليجتمعوا فى مكان واحد لتفاجئهم جيوشه وتقضى عليهم ، ولكن لقيطا العربى بعث برسالته الشعرية سرا الى قومه يحذرهم بها . وضحى بمنصبه ومكانه فى بلاط كسرى .

(3) على محمد الجمبلاطى - محمد ابراهيم نصر وعبد العزيز السيد - الادب والنصوص : 13 ، 15 ، طبع ونشر دار النهضة مصر ، القاهرة 1398 هـ/1978 م .

فانت ترى أن لقيطا يدعو قومه الى أن يرعوا خيولهم ، وأن يعدوها للقتال، وأن يشحذوا سيوفهم ويحدوها ، وأن يجددوا للأقــواس أوتارها ونبالها .

وألا يشغلهم الحرص على تنمية أموالهم وزيــادة ثرواتهم عن الاستعداد للقاء العدو ، لانهم اذا لم يصمدوا لــه انتصر عليهم وأخذهــم أســرى وغنم أموالهـــم .

ثم يستثير قومه الى مقاومة كسرى فيذكــرهم بأن بقــاء المجـــد الـــذى ورثوه عن آبائهم رهن بمقدرتهم على التصــدى لكســرى والانتصار عليه ، وأنه يخشى أن يضيع هذا المجد العظيم اذا تهاونوا فى الدفاع عنـــه .

وأنهم اذا هزموا أمام الفرس ذلوا وذهب عــزهم وضــاع مجــدهم ومجد آبائهم الى الأبد .

وأن عليهم أن يهبوا للدفــاع عن نسائهم ويحموهن مــن أن يقعن سبايا فى يد كسرى وجنوده اذا كانوا عربا أصحاب غيرة وحمية .

ويبين لهم أن دفاعهم فى هذه المعركة هو ــ فى الواقع ــ دفاع عن حياتهم وبقائهم لان هزيمتهم سوف تؤدى الى استئصالهم وابادتهم . ويدعوهم الى أن ينهضوا فورا بيقظة وحماس الى لقاء العدو ، وهم يستشعرون خطــورته على أمجادهم وحياتهم اذا لم ينتصروا .

ثم يطلب منهم ــ وهم السادة النجب ــ قائدا لهم يتميز بقدرات متعــددة قادرا على تحمل أعباء الحرب صبورا على شدائدهــا ، خبيــرا بتصريفهــا ، لا يطغيه المال فيتعالى على قومه ويتجبر عليهم ، ولا تذلــه الشدائــد والنــوازل فيضعف أمامها ويجبن . رجلا خبر الحياة حلوها ومرها ، وصقلته التجارب ، لا يمضى أمرا الا بمشورة قومه ، فهم يتبعونه تارة وهو يتبعهم أخرى ، لانه يطلب الرأى الصائب السديد سواء أكان له أو لغيره .

قائدا متجردا لخدمة قومه ، لا يشغله عنهم مال يحرص على تنميته ، ولا ابن يطلب له علوا المنزلة وسموا لمكانـــة .

ودافـع حسـان بن ثـابت (ت : 54 هـ / 674 م) (4) بشعـره ـ عـن الرسول وعن الدين الاسلامي ، كما دافع عنه غيره بالمال والسيف ، وصور تصويرا جيدا ما كان بين الاسلام ومناهضيه ، فوصف انتصار المسلمين في يوم أحد وصفا رائعا (5) وتحدث الشاعر عن قبيلة النبي وعن مآثرها ومالها من مكانة ومنزلة (6) فقال :

ان الـذوائـب من فهـر واخـوتهـم قـد بينـوا سننـا للنـاس تتبـع
يرضى بها كـل من كانت سريرتـه تقوى الالـه ، وبالامر الذى شرعـوا
قـوم اذا حاربـوا ضـروا عـدوهـم او حاولوا النفع فى اشيـاعهم نفعـوا
سجيـة تلـك فيهـم غيـر محدثـة ان الخلائق ـ فاعلم ـ شرهـا البدع
ان كـان فى الناس سباقـون بعدهـم فكـل سبق لأدنـى سبقهـم تبـع
لا يفخـرون اذا نالـــوا عـدوهـم وان اصيبـوا فلا خـور ولا جـزع
اكـرم بقـوم رسـول اللـه قائدهم اذا تفرقـت الاهـواء والشيــع (7)

فالشاعر ـ فـي الابيات السابقـة يشيد بسادة قريش مـن المهاجريـن واخوانهم من الانصار ، الذين بينوا للناس طرق الحق والخير ، وارشدوهم الى المبادىء القويمة ، والآراء السديدة التي يجب أن تتبع ويعمل بها .

وهذه المبادىء يرضى بها ويعتنقهـا كل ذى نفس طاهرة نقية ، تخشـى الله وتخافه : وهم أسبق الناس الى المكرمات فلا يستطيع غيرهم أن يلتحق

---

(4) حسان بن ثابت الانصارى : شاعر النبى (ص) وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام . له (ديوان شعـر ـ طـ) . أنظر فى شأنـه تهذيـب التهذيب 2 : 247 ، وخزانـة البغـدادى 1 : 111 ، ومعـاهـد التنصيص 1: 209 ، والاغانى طبعت الدار 4: 134 ، والشعر والشعراء: 104
H. hirschfeld, Prolegomena to an edition of the Diuan of Hassen L. thabit, Transact. congr. Or. London 1892, 11, 99 - 103
بروكلمان الترجمة العربية 1 : 152) .

(5) ديوان حسان بن ثابت الانصارى : 17 ـ دار صـادر ـ بيـروت . بلا تاريخ) .

(6) وفد على الرسول (ص) كثير من وفود العـرب حيـن سمعوا بالديـن الجديد ليعرفوا أمره . ومن بين هذه الوفود وفد بنى تميم ، وقد وقف شاعرهم أمام النبى يشيد بقومه ، فلما فـرغ أمر النبـى حسان بالرد عليه ، فارتجل الابيات الواردة فى المتن .

(7) ديوان حسان بن ثابت الانصارى ـ دار صادر (بلا تاريخ) .

بهم فى هذا المضمار ، بل لا يصل الى اقل مستوى من كرمهم وفضلهم . وليس من طبعهم الزهو أو الفخر اذا انتصروا على عدوهم ، لان ذلك أمر متوقع منهم ، كما أنهم لا يجزعون ولا يضعفون اذا هزموا ، بل يقابلون ذلك بالصبر عليه والثبات . وليس ذلك عجيبا من قوم يقودهم رسول الله ، فهو بلا ريب أعظم الناس وأكرمهم ، وأقواهم تضامنا اذا اشتدت الأمور ، وتفرق الناس واختلفوا .

ووقف المتنبى (303 — 354 هـ / 915 — 965 م) (8) بجانب سيف الدولة (عليّ بن عبد الله : 303 — 356 هـ / 915 — 967 م) (9) يشيد بخصاله وبدفاعه عن حمى العرب والاسلام ، ولعل ذلك ما جعل لأبى الطيب فى نظر علماء الادب المكانة المرموقة لانه كان قويا فى شعره كما كان قويا فى شخصيته ومواقفه . يقول فى موقعة الحدث الحمراء (343 هـ/954 م) بين سيف الدولة والبيزنطيين :

هل الحدث الحمراء تعرف لونها وتعلم اى الساقيين الغمائم
بناها فاعلى والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم
خميس بشرق الارض والغرب زحفه وفى اذن الجوزاء منه زمازم

(8) أبو الطيب المتنبى أحمد بن الحسين : شاعر حكيم ، مدح سيف الدولة وحظى عنده ، قتله أبو جهل الاسدى وهو فى طريقه من شيراز الى بغداد . (أنظر : بن خلكان 1 : 36 ، معاهد التنصيص 1 : 27 ، وابن الوردى 1 : 290 ، ولسان الميزان 1 : 159 ، وتاريخ بغداد 4 : 102 ، والمنتظم 7 : 24 ، والمستشرق R. BLACHERE فى دائرة المعارف الاسلامية 1 : 363 ،

R. Blachère, Le poète arabe al - M. et l'occident Musulman, Rev. Isl. 1929, app. 1927-35.
— L. Massignon, devant le siècle Ismaïlien de l'islam.
— J. Lecerf, la signification historique du racisme chez M.
— M. Gaudefroy Demonbynes, M; et les raisons de sa gloire.
— M. Canard, M. et la guerre byzantino-arabe, intrêt hist. de ses poésies.

(9) سيف الدولة : هو صاحب حلب ، اشتهر بشجاعته فى الحروب ضد الروم وحمايته للعلماء والادباء منهم المتنبى وأبو فراس والفارابى الفيلسوف . اليه قدم أبو الفرج الاصفهانى كتابه الاغانى . أنظر : الاعلام للزركلى 5 : 118 — 119 ، وزبده حلب 1 : 111 — 152 ، ويتيمة الدهر 1 : 22 ، والوفيات 1 : 364 .

ثم انتقد أبـو الطيب أهل عصره الذين سودوا عليهم الأعاجم فقال فـي احدى قصائده « وما تفلح عرب ملوكها عجم » (10) ، ويعني بالعجم الفرس والأتراك والديلم ، الذين افتكوا السلطة على عهده وأهانوا الخلفاء والخلافة وتكالبوا على جمع الثروة بكل حول وقوة ، فأثر ذلك على حياة العامة ، مما جعل أدب القرن الرابع يصطبغ بصبغة التسول والكدية .

وحينما أعوز أبو فراس(الحارث بن سعيد : 320 ـ 357 هـ /932 ـ 968 م) (11) السيف وهو في سجنه عنـد الروم دافع عن العرب بشعره ، وذلـك عندما اتهم الدمستـق (Domeskikos) (12) العـرب بـأنهم أهل كتابـة وليس بأهل حرب . فأجابه أبو فراس بالشعر مفندا دعواه :

اتزعـم يـا ضخم اللغاديد ، اننـــا ... ونحن اسد الحرب لا نعرف الحربا ؟
فويلك من للحـرب ان لم نكـن لهـا ... ومن ذا الذى يمسى ويضحى لها تربا
ومن ذا يلف الجيش مـن جنباتـه ؟ ... ومن ذا يقود الشم او يصدم القلبا ؟
وويلـك مـن أردى أخـاك بمـرعش ... وجلل ضربا وجـه والدك العضبـا ؟
وويلك مـن خلى ابن اختـك موثقـا ... وخـلاك باللقـان تبتـدر الشعبـا ؟

(10) أصل البيت :

وانما الناس بالملوك وما ... تفلح عرب ملوكهـا عجم

(ديوان المتنبى : 93 ـ دار بيـروت للطباعـة والنشـر ـ 1400 هـ/ 1980 م) .

(11) أبو فراس : أمير شاعر فارس ، قلده سيف الـدولة منبجـا وحـران وأعمالها . أسره الروم سنة (351 هـ/962 م) فامتاز شعره فى الاسر برومياته . قتله أحد أتباع سعد الدولة ابن سيف الدولة فى تدمـر . (أنظر : الاعلام 2 : 156 ـ ط 3 ، وفيات الاعيان 1 : 127 ، وتهذيب ابن عساكر 3 : 439 ، وشذرات الذهب 3 : 24 ، والمنتظم 7 : 68 ، والذريعة 7 : 114 ، ويتيمة الدهر 1 : 22 ـ 62 ، وبروكلمان (الترجمة العربية) 2 : 92 ، و R. Dvorak, Abu F.U. Seine poésie, Actes du Xème congr. des on. sec III, 69/83

(12) هو الامبراطور نيقفوروس فوقاس (Nikephoros Phokas) . انظر فى شأنه : طبقات الشافعية لابن السبكـى 2 : 184 ، وانظـر مقالات للمؤلف (بروكلمان) فـى Mélange Gauthier

أتوعدنا بالحرب حتى كأننا وإياك لم يعصب بها قلبنا عصبا ؟
لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه فكنا بها أسدا ، وكنت بها كلبا (13)

فأبو فراس فى هذه الأبيات الجدلية يرد على طعن الدمستق فى العرب وانكاره عليه خصائص الحرب ومناقبها ، ولعل ذلك ما جعله يحشد سلسلة من أسماء الاماكن الرومية التى أوقع فيها العرب بالروم ، ليدلل له بالحجة على خطئه .

وأشاد ابن هانى (محمد بن محمد بن سعدون الأندلسى أبو القاسم : 326 ـ 362 هـ / 938 ـ 973 م) (14) بخصال المعز لدين الله الفاطمى (319 ـ ت 365 هـ/931 ـ 975 م) (15) ودفاعه عن الاسلام فى بلاد المغرب ، فوصف

---

(13) أبو فراس الحمدانى ـ الديوان : 42 ـ دار صادر ـ بيروت (بلا تاريخ) .

(14) ابن هانى : يتصل نسبه بالمهلب بن أبن أبى صفرة . ولد باشبيلية وحظى عند صاحبها ، واتهمه أهلها بمذهب الفلاسفة ، فأساؤوا القول فى ملكهم بسببه ، فأشار عليه بالغيبة فرحل الى افريقية والجزائر ثم اتصل بالمعز العبيدى واقام عنده فى المنصورية بقرب القيروان مدة قصيرة ، ورحل المعز الى مصر بعد ان فتحها قائده جوهر ، فعاد ابن هانى الى اشبيلية فأخذ عياله وقصد مصر لاحقا بالمعز ، فلما وصل الى « برقة » قتل فيها غيلة ، له ديوان شعر ـ ط . (أنظر : وفيات الاعيان 2 : 4 ، التكملة لابن الابار 1 : 103 ، والنجوم الزاهرة 4 : 67 ، وابن شنب فى دائرة المعارف الاسلامية 1 : 289 ، والاحاطة 2 : 215 ، وارشاد الاريب 7 : 126 ، وشذرات الذهب 3 : 41 ، ونفح الطيب ط . بولاق 2 : 1010 ، والمطرب من أشعار أهل المغرب : 192 ، والاعلام للزركلى 6 : 185 ، وبروكلمان فى الترجمة العربية 2 : 101 ، ومطمح الانفس : 74 ، والفلاكة : 76 .
— Ivanov, A Guide to Ismail. tit. 40
— R. P. Dewhurst, Abu. Tcummam and Ibn H. FRAS 1926, S. 629-42

(15) المعز لدين الله : هو صاحب مصر وافريقية ، ولد بالمهدية . تولى الخلافة سنة 341 هـ/953 م بعد وفاة أبيه ، انتقل الى مصر سنة 358 هـ/970 بعد فتحها ، وبنى القاهرة فيما بين 359 ـ 361 هـ/ 971 ـ 974 م ، وسماها القاهرة المعزية ، فبقى الفاطميون فيها الى آخر أيامهم . (أنظر : وفيات الاعيان 1 : 101 ، والمنتظم 7 : 82 ، وابن الاثير 8 : 165 ، والبيان المغرب 1 : 221 ، و 324 : Brock. S. 1. ، وهدية العارفين 2 : 465 .

شجاعتـه ومعاركـه مع الروم . يقول فـي قصيـدة بعنـوان : «لا كالمعـز خليفة » (16) واصفا أسطول المعز :

اما والجوارى المنشآت التى سرت ... لقد ظاهرتها عدة وعديد
قباب كما تزجى القباب على المها ... ولكن من ضمت عليه اسود
ولله مما لا يرون كتائب ... مسومة تحدو بها وجنود
... وما راع ملك الروم الا اطلاعها ... تنشر اعلام لها وبنود
عليها غمام مكفهر صبيره ... له بارقات جمة ورعود
مواخر فى طامى العباب كانه ... لعزمك باس او لكفك جود
انافت بها اعلامها وسمالها ... بناء على غير العراء مشيد
وليس باعلى كبكب وهو شاهق ... وليس من الصفاح وهو صلود
من الراسيات الشم لولا انتقالها ... فمنها قنان شمخ وريود
من الطير الا انهن جوارح ... فليس لها الا النفوس مصيد
من الفادحات ، النار تضرم للطلى ... فليس لها يوم اللقاء خمود
اذا زفرت غيظا ترامت بمارج ... كما شب من نار الجحيم وقود
فانفاسهن الحاميات صواعق ... وافواههن الزافرات حديد
لها شعل فوق الغمار كانها ... دماء تلقتها ملاحف سود

فالشاعر يتصور هذه السفن وقد أقلعت ونشرت أعلامها كأنها بناء سامق ، بل كأنها من الجبال لولا أنها تتحرك ، بل هى من الطيور الجارحة الا أنها تصيد الارواح والنفوس ، وهى اذا هاجمت رمت بالحمم ، بل ان فوهاتها لترسل بالصواعق وما يزال حديدها يرعد فى الظلام ، والشعل تتساقط محمرة على صفحة الماء فى الليل الداجي ، فتظنها دماء تلطخ ملاحف سوداء .

---

(16) ابن هانى ــ الديوان : 96 ــ دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ــ سنة 1384 هـ/1964 م .

وانتقد أبو حيـان التوحيدى البغدادى (17) نواقص عصره وناهض بشدة تيار الشعوبية على عهده الذى حمل لواءه الموالى والأعاجم وجعلوا منه معـول هدم للحضارة العربية .

وانتقد بعنف الجيهانى (محمد بن أحمد) (18) الشعوبى ـ الذى كتب كتابا فى ثلب العرب وتعييرهم وذكر نواقصهم ـ وربط أبو حيـان فى رده بين عادات العرب وظروف حياتهم ، والتمس لهم العذر فى الوضع القاسى الذى عاشوه فى صحرائهم (19) .

وهاجم ابن غرسية (كشاجم) (20) العرب فى رسالة له ، وثلبهم وعيرهم ، واستنقص مـن شأنهم ، وأعلـى فيها من شأن الـروم بالطـب والهندسـة والموسيقـى (21) .

---

(17) أبو حيان التوحيدى (على بن محمد بن العباس : ت : 400 هـ/ 1010 م) فيلسوف ، أديب ، متصوف ، من كتبه (المقابسات ـ ط) و (البصائر والذخائـر ـ طـ) و (الامتـاع والمؤانسة ـ طـ) (أنظـر : طبقـات السبكى 4 : 2 ، بغيـة الوعـاة : 348 ، وميزان الاعتـدال 3 : 355 ، ولسان الميزان 6 : 369 ، وامـراء البيـان : 488 ـ 545 ، ودائـرة المعارف الاسلامية 1 : 333 ـ 335 ، والاعلام للزركلى 5 : 145) .

(18) الجيهانى : كان وزيرا للسامانيين ، وهو ينتسب الى جيهان مدينـة بخراسان . قال ابن النديم فى شأنه انه من رؤساء المتكلميـن الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الزندقة . ترجم له ياقوت .

(19) أنظر أطروحتى للماجستير : (أصداء المجتمع والعصر فى أدب أبـى حيان التوحيدى : 189 ـ 192 ، طبع دار النشر والاعلان بالجماهيرية الليبية 1984 . وانظر رد أبى حيان فى الامتاع والمؤانسة 1 : 79 ـ 93 .

(20) كشاجم : ذكره ابن بسام فى الذخيرة ـ القسم الثالث المجلد الاول الاول ـ ص 705 ـ 714 ـ تحقيق احسان عباس .

(21) ابن بسام ـ الذخيرة فى محاسن أهـل الجزيـرة : القسم الثالث ـ المجلد الاول 705 ـ 714 ـ تحقيق احسان عباس ـ الدار العربية للكتاب ـ ليبيا تونس 1395 هـ/1975 م .

ومن الذين ردوا على كشاجم أبو جعفر بن الدودين ، (22) وفي رده ذكر لمعايب الروم ومحاسن العرب وخصالهم الحميدة وعلومهم ومعارفهم المتفوقة على ما عند الروم (23) .

وممن رد على ابن غرسية كذلك أبو الطيب عبد المنعم القروى (24) ورسالة رده طويلة فيها ذكر للمآثر العربية والمفاخر الاسلامية (25) .

ورد الجاحظ (26) على الشعوبيين وكتب كتابه « البيان والتبيين » لابراز بعض الميزات العربية المتمثلة في الفصاحة والبيان ، وانتقد كذلك نواقص عصره بأسلوب ضاحك ساخر في « البخلاء » ، ورسم نماذج لاهتمامات عصره العامية وغير العامية في كتابه « الحيوان » وسائر كتبه .

وانتقد كذلك أبو العلاء المعرى ـ في شعره ونثره ـ سلبيات مجتمعه نجد ذلك مثلا في اللزوميات ورسالة الغفران .

وحينما سقطت الأندلس نهائيا بأيدى الاسبان رثاها بحرقة ولوعة صالح بن أبى الحسن يزيد الرندى (601 هـ/1204 م م ـ 684 هـ/1285 م) (27) .

---

(22) أبو جعفر بن الدودين : ذكره ابن بسام في الذخيرة ـ القسم الاول المجلد الثالث : 715 ـ 722 .

(23) ابن بسام ـ الذخيرة ـ القسم الثالث ـ المجلد الاول : 715 ـ 722 .

(24) أبو الطيب عبد المنعم القروى : ذكره ابن بسام في الذخيرة ـ القسم الثالث ـ المجلد الاول : 723 ـ 746 .

(25) ابن بسام ـ الذخيرة ـ القسم الثالث ـ المجلد الاول : 723 ـ 746 .

(26) الجاحظ : (عمرو بن بحر) (163 ـ 255 هـ / 780 ـ 869 م) . أديب معتزلى ، ولد وتوفى بالبصرة . من كتبه : « الحيوان » ط ـ و (البيان والتبيين ـ ط) و (البخلاء ـ ط) . انظر الاعلام للزركلى 5 : 239 ـ ط 3 ، تاريخ بغداد 12 : 212 ، ودائرة المعارف الاسلامية 6 : 235 و 139 : 1 ، 5 (152) 185 : 1 (Brock)

(27) الرندى : صالح بن أبى الحسن : اشتهر باسم جده شريف فسمى صالح ابن شريف ، وكان يكنى بابى الطيب وأبى البقاء وأبى محمد . قال قصيدته النونية لما تنازل أمير غرناطة ابن الاحمر عن عدد من الحصون للنصارى سنة 665 هـ/1268 م ، وكان ابن الاحمر مؤسس الدولة النصرية بغرناطة موضع آمال المسلمين بالاندلس ،

بقصيدته النونية المشهورة (لكل شيء اذا ما تم نقصان)، وصور في قصيدته ضياع المدن العربية بالاندلس الواحدة بعد الاخرى مثل بلنسية ومرسية وشاطبة وقرطبة وحمص وغيرها، وذلك نتيجة الفرقة والاختلاف بين العرب المسلمين، وصور انتهاك الاسبان لبيوت الله وللحرمات، وابرز كيف كانوا يبيعون الاحرار في أسواق العبيد وهم يبكون وينوحون.

ودعا مفكرو النهضة المعاصرة الى الاخذ باسباب الحضارة المعاصرة، والاتجاه الى العلم والصناعة وحاولوا تجديد النظر الى الدين. فرأى الامام محمد عبده (1266 ـ 1323 هـ/1849 ـ 1905 م) (28) أنه لا يجب الفصل بين المسلمين وبين سائر أهل الاديان السماوية، بل يجب ـ في الدين ـ النظر الى جهة الجمع والاتفاق والدعوة الى اصل الدين وروحه الذي لا خلاف فيه ولا نزاع وهو التسليم بنبوة جميع الانبياء والمرسلين مع الاسلام لرب العالمين (29) ورأى الامام محمد عبده أن: «ما نراه من التباين بين المسلمين واهل الكتاب الآن فسببه سياسة الملوك والرؤساء، ولو أقمنا الكتاب وأقاموه لتقاربنا ورجعنا جميعا الى الاصل الذي أرشدنا اليه القرآن العزيز...» (30).

ولم يكن من السهل أن يقبلوا منه هذا التنازل. ولابي البقاء تاليف في العروض والشعر سماه (الوافي في نظم القوافي)، وله مقامات في أغراض شتى وقصائد زهدية وشعر متنوع الاغراض.

(28) محمد عبده: مفتي الديار المصرية ومن كبار رجال الاصلاح والتجديد في الاسلام، تتلخص رسالة حياته في أمرين: الدعوة الى تحرير الفكر من قيد التقليد، ثم التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة. من مؤلفاته (تفسير القرآن الكريم ـ ط .) . و (شرح مقامات البديع ـ ط) و (الرد على الدهريين ـ ط). أنظر الزركلي 7 : 131 ـ ط 3.

(29) محمد عبده (الامام) ـ الاعمال الكاملة 4 : 323 ـ 318 ـ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة ـ ط بيروت سنة 1972 م.

(30) المصدر السابق 4 : 609، 614، 3 : 109.

وكذلك رأى جمال الدين الأفغانى (1254 ـ 1315 هـ/1838 ـ 1897 م) (31) ان دين الله واحد وأن كل الذين يؤمنون بالوحدانية هم متدينون بذات الدين الحنيف ، أى جوهره التوحيدى .. وكل الذين يطيعون الله بالعمل الصالح هم مسلمون . (32) لان الكتب السماوية جميعها ، يصدق بعضها البعض ، ويكمل بعضها الآخر ، ويفصل بعضها ما أجمل فى غيره (33) .

وحرض مفكرو عصر النهضة كذلك الشرق الطامح الى التحرر والوحدة على مواجهة الغرب الاستعمارى بالاتحاد ولم الشمل تحت راية القومية والوطنية ومصلحة كل العرب على اختلاف عقائدهم الدينية (34) لان الدين لله والوطن للجميع .

ولعلهم أردوا بذلك سد الباب أمام الغرب الاستعمارى القديمة المتجددة فى احتواء الوطن العربى ، وذلك فى أن يجد له ركيزة محلية ، فى شكل أقليات دينية أو طائفية ينفذ منها الى داخل الامة ليفتت وحدتها ويضرب بعضها ببعض باسم الدين .

(يتبع)

د. نور الدين بلقاسم

---

(31) جمال الدين الافغانى (محمد بن صفدر) : فيلسوف الاسلام فى عصره من الذين قامت على سواعدهم نهضة الشرق الحاضرة . من مؤلفاته (تاريخ الافغان ـ ط ـ) و (رسالة الرد على الدهريين ـ ط ـ) أنظر الزركلى 7 : 37 ـ 38 ـ ط ـ 4 .

(32) الافغانى جمال الدين ـ الاعمال الكاملة : 290 ـ 295 تحقيق د. محمد عمارة ـ ط ـ . القاهرة 1968 م .

(33) محمد عبدة ـ الاعمال الكاملة 4 : 338 .

(34) نفس المصدر .

مَا هكذا يجب العذاب !

شعر : يوسف رزوقه

(هِيَ ضِفَّةٌ وَأَنَا الغَرِيقُ)
وَبَيْنَنَا مَا يُشْبِهُ الأُخْدُودَ أَوْ مَا يُشْبِهُ الأَمَلَ القَصِي
أَمُدُّ جِسْرًا نَحْوَهَا
لِيَزِلَّ بِي قَبْلَ الثَّبَاتِ ..
أُكَبِّلُ الذَّنْبَ العَصِيَّ :
يَنَامُ فِي قَفَصِ النِّفَاقِ ، وَلاَ يَنَامُ ..
يَظَلُّ يَعْوِي عَالِيًا
وَإِذَا تَلَفَّتَ ، هَمْهَمَ المَوْتَى وَهَمُّوا كُلُّهُمْ بِالإِلْتِفَاتِ ..
(أُحِبُّهَا ، أَحْبَبْتُهَا ، سَأُحِبُّهَا)

* * *

مُحَاصَرَتِي هُنَا وَهُنَاكَ : مَنْ أَنْتِ ؟
تُوَرِّجِحُنِي المَدِينَةُ بَيْنَ اسْمَنْتٍ وَإِسْمَنْت
وَأَبْحَثُ عَنْكِ :
كُلُّ شَوَارِعِ الدُّنْيَا تَشِي بِفَدَاحَةِ المَنْفَى ..
إِذَنْ ..
أَيْنَ اخْتَبَأْتِ وَأَيْنَ خَبَّأْتِ الشَّذَى : ذَاكَ الشَّذَى الآسِرْ؟

وَكَيْفَ نَسَفْتِ مِنْطَقَةَ الهَوَى الكَاسِرْ ؟
أُحِبُّكِ : هَلْ أُكَرِّرُهَا وَأَنْتِ هُنَاكَ / لَسْتِ هُنَاكْ ؟
وَبَيْنَ تُرَاكِ بِالضَّبْطِ ؟

....

(مَشَيْنَا يَوْمَهَا مُتَعَاضِدَيْنِ فَلَمْ نَقَعْ وَتَنَفَّطَتْ قَدَمَاكِ ..
قُلْتُ : لِنَسْتَرِحْ ..
كَانَ المَسَاءُ المُوسْكُوِي يُمِيطُ قُبَّعَةَ الظَّلَامِ
وَيَنْحَنِي فِي « السَّاحَةِ الحَمْرَاءِ » لامْرَأَةٍ تَمُرُّ وَشَاعِرٍ ..
مَطَرٌ وَنَحْنُ حَمَامَتَانِ نَفِرُّ مِنْ حَجَرٍ إِلَى شَجَرٍ
وَمِنْ شَجَرٍ إِلَى قَمَرٍ
قَطَفْتُ مِنَ الحَدِيقَةِ زَهْرَةً وَمَنَحْتِنِيهَا وَابْتِسَامَتُكِ الرَّهِيبَةُ خِنْجَرٌ .
ـ مَا هَكَذَا يَجِبُ العَذَابُ : صَرَخْتُ ثُمَّ بَكَيْتِ وَانْفَجَرَ الهُدُوءُ
وَتُونِسُ انْهَمَرَتْ عَلَيَّ مِنَ الفُؤَادِ وَكَبَّلَتْنِي جَيِّدًا ..)

* * *

فِي مِثْلِ هَذَا الطَّقْسِ : بَرْدٌ كَاسِرٌ
وَسَحَابَةٌ تَهْمِي
وَرِيحٌ ...
لَمْ يَبْقَ لِي إِلَّاكِ : وَجْهًا مُشْمِسًا
لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ أَرَاكِ فَأَسْتَرِيحْ ..
أَجُوسُ خَارِطَةَ الرَّمَادِ وَمُعْجَمَ البَصَمَاتِ .
هَلْ سَأَرَاكِ ثَانِيَةً ؟
أَهَلْ سَتَمُوتُ ثَانِيَةً هُنَا فِي لَحْظَةٍ مَنْسِيَّةٍ ،
وَتَمُدُّ أَيْدِينَا إِلَى تُفَّاحَةٍ مَمْنُوعَةٍ ..

نَنْدَسُّ فِيهَا تَوْأَمَيْنِ مُعَذَّبَيْنِ ، إِلَى غَدٍ لاَ يَمَّحِي ؟
تَقِفُ المَسَافَةُ بَيْنَنَا : تَبَعًا يُسَيِّجهُ الظَّمأُ .
هَلْ نَلْتَقِي أَمْ إِنَّهُ فَصْلٌ جَدِيدٌ لِلصَّدَأْ ؟ ..

* * *

وَلأَنَّكِ نَائِيَةٌ
وَلأَنَّ الدَّرْبَ إِلَيْكِ مُغَطًّى بِالدَّمِ
مِتُّ عَلَى قَمَرٍ يَتَشَكَّلُ فِي لَيْلِ الكَلِمَاتِ ..
أَلُوذُ بِحَانَاتٍ لِي ، مُقْفَلَةٍ ، تَرَكَتْهَا الشَّمْسُ .
أَلُوذُ بِمُتَّكَإٍ مُغْبَرّ
كَيْ أَتَهَدَّمَ وَحْدِي فِي سَفَرٍ مُنْبَرٍ
مَنْ سَيُسَمِّي العَالَمَ بَعْدِي ، يَا مَجْنُونَ الصَّمْتِ ؟
وَمَنْ سَيُهَيِّءُ تَابُوتًا لِلْوَقْتِ ؟ ..
لأَنَّكِ نَائِيَةٌ :
بَعْثَرْتُ اللَّيْلَةَ وَجْهِي ، فِي الطُّرُقَاتِ
وَتِهْتُ أُفَتِّشُ عَنْهُ ..
مَا أَعْذَبَ هَذَا التِّيهْ !

يوسف رزوقه

1985 / 1 / 1

مـن مواضيـع الأعـداد القـادمة

عندما يتسع الحب (قصة)	**الهـادى عمـران**
لحظة خاطفة (إبداع)	**بنـت البحـر**
ليلى .. لا ألف ليلى ! (الفصل الثانى)	**فاطمـه حيـدري**
حديث النفس (شعر)	**حمـادى البـاجى**
نقاد الشعر (شعر)	**الهـادى الملـولى**

ذكرياتي مع صلاح عبد الصبور

لغة الحياة اليومية

بقلم : عز الدين المناصره

ارتبط الشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة ، بصداقة وطيدة مع الشاعر المصري الراحل صلاح عبد الصبور ، وفيما يلي ملخص للمحاضرة التي ألقاها المناصرة في قاعة بن باديس في مدينة قسنطينة في 1984/2/23 بدعوة من اتحاد الكتاب الجزائريين ـ فرع قسنطينة ، والمناصرة يعمل استاذا للادب المقارن في مادة موسيقى الشعر في جامعة قسنطينة منذ افريل 1983 ، وهو احد كبار شعراء المقاومة الفلسطينية (درويش وزياد والقاسم .. الخ) وله ثماني مجموعات شعرية .

دائما أرى أن « ادب الذكريات » هو علاقة بين طرفين ، ينبغي أن تكون الأولوية في رسم الصورة ، مرتكزة على الطرف الأول ، دون أن تلغى الطرف الثاني وهو الراوي ، لان الراوي شريك في الذكريات ، فلا انفصال في العلاقة بينهما . هذه القاعدة نؤمن بها لانه كثيرا ما اتهم الطرف الثاني (الراوي) بالنرجسية على اعتبار أن صورته تتداخل مع صورة الطرف الاول .

كذلك ـ تعلمت من التجربة أن أكتب عواطفي وأحزاني في الشهر الاول لرحيل الراحل ، اما الذكريات فأتركها للعام التالي أو الذي يليه ، خوفا من الوقوع في « التقديس » أمام رهبة الموت وجلاله ، وتعودت أن لا أتأخر عن سرد هذه الذكريات ، لانها ملك للقارىء فقد تضيء جانبا من جوانب الشاعر او الاديب الراحل سواء من جهة نصوصه او من جهة حياته الشخصية . وهذا ضروري من باب الوفاء ومن باب افادة الآخرين ، حتى لا تضيع الحقائق مع مرور الوقت وحتى لا تخوننا الذاكرة او نخونها تحت ضغط ظرف مفاجىء ـ كذلك ـ يجب أن يترفع «أدب الذكريات» عن كافة أساليب «تصفية الحسابات» أو استغلال الصداقة لتقديم معلومات خاطئة تخدم الراوي أو أية جهة أخرى ـ

وانا أيضاً مع تقديم « ما يمكن تقديمه » بدلا من القول : « هنـاك حقائـق كثيرة لا أستطيع قولها الآن » .

* * *

فى عام 1959 ، سمعت باسم صلاح عبد الصبور لأول مرة ، فقد كان أصدر ديوانه الاول « الناس فى بلادى » ، ونشرت الصحف الفسطينية فى القدس بعض قصائده وبعض المقالات الصحفية السريعة عن الديوان الصـادر عـام 1957 . كان الشعراء العراقيون (بدر شاكر السياب وعبـد الوهاب البياتـى ونازك الملائكـة) قد سبقا عبد الصبور فـى مسألـــة الريادة (التاريخيـة) بسنوات قليلة .

والحقيقة انه يمكننا تسجيل قائمة طويلة من الاسماء التى سبقـت بعض الرواد التاريخيين فى مسألة تفتيت الشكل العمودى ، لكن هؤلاء لم يستطيعوا الصمود طويـلا رغم مساهمتهم فى الحركة الشعرية الجيدة ففى كل حركـة جديدة يساهم كثيرون ، لكن الانجاز النهائى يكون ـ عادة ـ لصالح الشعراء الاكثر صلابة والاكثر فاعلية ، لاشعـراء « الشواهد » و « الارشيف » الذين يستشهد بهم وبشعرهم عند التاريخ لبداية الحركة الشعرية الجديدة .

لم يكترث صـلاح عبد الصبـور بالموسيقـى الفخمـة (السياب مثلا) ولا بالقافية العفوية (البياتى) ولا بالموسيقى الشعرية التقليديـة (نازك) . بـل اختار الموسيقى الشعرية الخافتة لقصائده ولم يقع تحت ارهاب القافيـة . فقد كان الشعراء ـ آنذاك ـ يحرصون كل الحرص علـى القول انهم امتداد للتراث الشعرى العربى ولجأوا الى تعداد الامثلة الشائعة فـى التجديد فـى الشعر العربى القديم فى محاولة لتأكيد شرعية الحركة الجديدة (الشعـر الحـر) • ودخل الشعراء فى الصراع القائم حول الايديلوجيات والمـذاهب القائمة . ولهذا نعت الشعر الجديد عموما بالشيوعية من قبل المعادين له ، على اعتبار ان الشعر الحديث يؤكد اجتماعية النص وواقعيته ، وعلى اعتبار ان هذا الشعر يعادى « الشكل العمودى المقدس » . ولم يكن ذلك صحيحا . فليس كل من فتت الشكل الشعرى كان تقدميا أو حديثـا . وظـل الاقتراب من الواقعية شكليا لأنه لجأ الى الشعارات ليؤكد هويته السياسية .

ولجـأ الشعراء الرواد « تاريخيا » الـى شعراء غربيين واستفادوا منهـم استفادة شكلية ، فقد ترددت أسماء شعراء عالميين مثل : بابلونيرودا وناظم حكمت وغارسيا لوركا ومايا كوفسكى من جهة كـذلك تـرددت فى الجهـة الاخرى اسماء : ت . س . اليوت وسان جـون بيرس وازرا باونـد وروبرت

فروست .. الخ . وتصارع الرواد التاريخيون حول هذه الاسماء بما توحيه فنيا وفكريا وسياسيا . كان كل شاعر عربى يريد تأكيد صحة خطه الشعرى والفكرى من خلال استخدامه لهذا الاسم أو ذاك . وغالبا ما كانت الاستفادة شكلية . وحتى أوائل الستينيات لم يعترف القراء بالشعر الجديد أو الحديث أو الحر . لكن الجدل حول هذه الظاهرة ، اكسب الشعراء الجدد جمهورا من المثقفين وطلبة الجامعات . كذلك فى الصحافـــة .

فى هذا الطقس الصاخب ولد ــ شعريا ــ الشاعـر المصرى صـلاح عبد الصبور فى منتصف الخمسنيات كشاعر من شعراء الشعر الحر وكأول رائد لهذا الشعر فى مصر .

وعندما تعرفت عليه عام 1964 فـى القاهـرة لاول مرة ، كـان حتى ذلك التاريخ قد أصدر ثلاث مجموعات شعرية هـى : « الناس فى بلادى ــ 1957 » « أقول لكم ــ 1961 » و « أحلام الفارس القديم ــ 1964 » .

وصلت الى القاهرة فى اكتوبر 1964 قادما من فلسطين . كنت قد نشرت قصـائد من الشعر الجديد منذ عام 1962 فـى صحـف القدس وكنت مليئاً بالحماس والتعصب لهذا الشعـر ولهذا فكـرت أول دخولى القاهرة بضرورة التعرف على صلاح عبد الصبور بشكل شخصى . وكان لقائى به فى شهر نوفمبر على وجه التحديد من عام 1964 والمكان هو : الجمعية الادبية المصرية فى عابدين بالقاهرة . اذكر انه كان فى الجلسة : عز الدين اسماعيل وفاروق خورشيد واحمد كمال زكى وعبد القادر القط وعبد الغفار مكاوى وعبد الرحمان فهمى وصلاح وعدد من الشعراء والقصاصين الشباب . وهـؤلاء كـانـوا جميعا بما فيهم صـلاح من مريدى الشيخ أمين الخولى ومـن انصار أفكاره وكانت الجمعية الادبيـة المصرية بؤرة نشاطوتجديد . وهم فـى معظمهـم زملاء دراسة فى جامعة القاهرة فى الخمسينات، ثم ربطهم الادب حتى أصبحوا أصدقاء فى الحياة اليومية وكانت الجمعية الادبية المصرية تهتم بالابداع ولا اعتقد أنها كانت مركزا سياسيا لاتجـاه سياسى رغم الطابع المشترك بيـن أعضائها فى رؤيتهم العامة . وكانوا يتناوبون على رئاسة الجمعية ضمن جـو من الصداقة والود . واهم ميزات الجمعية هو تنوعها الادبى فى كافة مجالات الفنون الادبية . ثم احتضانها للشبـاب الجديـد . وكنا نساهم فى برامـج الجمعية بنشاط وبتشجيع واضح من صلاح على وجـه التحديد : أمـل دنقل ومهران السيد وابراهيم ابوسنه وكمال عمار وحسن توفيق وبـدر تـوفيق والمرحوم السيد الشرنوبى ... وانا . وبعد القاء قصائدنا ، كان صلاح يعقب

عليها بتذوق وبتواضــع شديد ويشارك الآخرون فى المناقشــة وقد يحدث العكس حيث يلقى صلاح شعره او يستضاف شاعر من خارج الجمعية ونعقب نحن على القصائد وكان يتقبل نقدنا بصدر رحب . اما جمهور الجمعية فهو من الادباء او طلبة الجامعات غالبا . فــى ذلك اللقاء الاول بينــى وبيــن عبد الصبور ، كـان حارا متواضعا ومهذبا ومثقفا ، واهتم بــى اهتماما خاصــا ، سألنى عن حركة الشعر الحر فى فلسطين ، وعن الاسماء المعروفة آنذاك فى الشعر الفلسطينــى : معيــن بسيسو ــ هارون هــاشم رشيد ــ فــدوى طوقان ــ يوسف الخطيب ــ توفيق صايغ . وكان معين هــو الاكثــر اهتماما بكتابة الشعر الحر ، أما توفيق صايغ فقد كان النقاد المصريون يعتبرونــه جزءا من حركة مجلة شعــر اللبنانية وهو كذلك . ويوســف الخطيب كـان معروفا كشاعر العقيدة القومية وهارون هاشم رشيد كشاعر مخيمات وفدوى كشاعرة ذاتية . اى أن النقد العربــى لم يكن يضع الشعــر الفلسطينى فــى داخل الحركة الجديدة ، ما عدا توفيق صايغ المرفوض لانــه يكتــب قصيدة النثر المرفوضة آنذاك . ولهذا شرحت لصلاح . عن حركة الشعر الحر فــى فلسطين التى بدأت عمليا منذ عام 1960 فــى القدس فــى الصحف اليومية ، لكن حركة الشعر الحر كانت قد تبلورت على صفحات مجلة « الافق الجديد » المقدسية (1960 ــ 1967) . واخبرته ان هذه المجلة نشرت له بعض القصائد وبعض الدراسات عن شعره ، ففرح كثيرا وطلب منى ان يطلع عليها .

وكنت قد احضرت معى نسختين منها : أعطيته واحدة واعطيت الاخرى لمحمد مندور . وأذكر أن مندور قد فرح كثيرا وهو يتصفح المجلة فى بيته بحضور زوجتــه الشاعرة ملك عبد العزيز أما صلاح فقد فوجىء بها كما قال لى ووعدنى بالكتابة فيها وفعلا كتب فيها .

فى ذلك اللقاء أعطانى صلاح رقم هاتفه وعنوان منزله ودعانــى للاتصــال فى اى وقت أشاء . وألح علي بضرورة المساهمة فى نشاطات الجمعية الادبية المصرية . وفعلا قبلتنى الجمعية عضوا فيها . فى نفس تلك الليلة أوصلنى بسيارته الى البنسيون الذى كنت أقيم فيه فى منطقة «جاردن سيتى» وهبط لنكمل السهرة مع طلبة فلسطينيين قرأوا شعره وفرحوا بلقائه .

شعرت بالفرح لتعرفى عليه لتواضعــه الصادق وهدوئه واتزانــه : فلاح مصرى أسمر ، كلامه ينم عن خبرة فى الحياة وعن انطفاء مرارة القلــب ، أو هكذا هو ظاهره المليء بالاحــــزان .

وفـي الجمعية الادبيـة المصرية هذه ، تعرفـت لاول مرة عام 1966 على مواطنتي الشاعرة فدوى طوقان ، ولم أرها منذ ذلك اللقاء حيث حدثت كارثة 1967 .

وتكررت لقاءاتـي بصلاح عبد الصبور في الجمعية الادبية المصرية التـي أصبحت أحد نشطائها وفجأة قال لي : لماذا لم تزرني في بيتي وهو قريـب منك ؟! قلت له : نتقابل في الجمعية ولم أشأ أن أزعجـك بمناقشاتـي فـي البيت أيضا ، وأضفت مازحا : عندنا مثل فلسطيني يقول : « لا تعرف البدوي على باب دارك » ، وبما أنني ما زلت صحراويا في طباعـي فانك ستندم حتمـا فضحك وقال : أهلا بك ألف مرة .

زرته في بيته في منطقة « اللاظوغلي » وعرفني على زوجته السيدة سميحه غالب ، وكان لديه طفلة واحدة ذات عام واحد على ما أذكر ، اسمها « مـي » وكان صلاح يناديها بـ «ميـه» . كنت أحملها وألاعبها وقد اطمئنت لي بعد أن ألفت وجهي بالتدريج وبعد ان احضرت لها حلاقـا ليقص شعرها . وكنـا فيما بعد نتذكر لقاءنا الاول في بيته بأنـه كان « عندما كانت مي فـي عامها الاول » .

في عام 1965 كنت أكتـب قصيدة كل يوم ، وكان صلاح يمتـدح شعري ويستحثني على ضرورة النشر وضرورة النشاط وضرورة اصدار مجموعتي الشعرية الاولى . وكان صلاح يأخذ قصائدي وينشرها في الصحف والمجلات المصرية وهو الذي عرفني على كثيرين من أدباء مصر : أنور المعداوي ويحيى حقي ومحمد عبد الحليم عبد الله ويوسـف السباعـي وأحمد رامي ، وحين سألته ذات مرة أن يعرفني على عباس محمود العقاد ، ضحك وقال « ألا تعرف أنه لا يعتبرنـي شاعرا لانني أكتـب الشعر الحديث ، وقد حول شعري الى « لجنة النشـر » في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، حين تقدمـت بمجموعة من قصائدي لنشرها » .

أما جيل الشباب من الادباء فقد تعرفت عليهم في « مقهى ريش » حيث كنا نلتقي بنجيب محفوظ وفي «أتيليـة القاهـرة» وفي مكتب مجلة «الطليعـة» وفي الجامعات . كان اسم صلاح ، لامعا في تلك السنوات ، وكان المثقفون العرب حين يزورون القاهرة يسألون دائما عن صلاح عبدالصبور ، وحتى الاجانب ، فقد حدث أن زار القاهـرة الشاعر السوفيتي « ايفتوشنكـو » فرافقه صلاح وعرفه بي وقد ألقى إيفتوشنكو أشعاره بالروسية على أحد مسـارح القاهرة .

فادهش الجميع بطريقة القائه المسرحية واستضافه التلفزيون المصرى وكان صلاح أحد الذين ناقشوه فى الشعـــــر .

وقد بلغ الصراع أشده بين أنصار الشعر الحر وبين أنصار الشعر العمودى التقليدى فى عامى 1965 و 1966 ، انتهى بانتصار الشعر الحر فى مصر وكان اسم عبد الصبور هو الاسم الاكثر ورودا فى تلك المعارك الادبية .

كان جيل الخمسينات فى الشعر المصرى قد تأثر أيضا بالمعارك السياسية ، وبثورة 23 يوليو وقد ظهر هذا فى مستوى التعبير الشعرى : عبد الرحمان الشرقاوى ـ صلاح جاهين ـ كمال عبد الحليم ـ عبد المعطى حجازى وصلاح عبد الصبور ، ظهر ذلك فى ديوانه الناس فى بلادى ، وقد كان ذلك مؤشرا الى اختلافهم عن جيل ابوللو ، فى حين نرى تمايزا واضحا بين رؤية جيل عبد الصبور وجيل الستينات · محمد عفيفى مطر وامل دنقل ومهران السيد وكمال عمار وبدر توفيق ، وان كان أمل دنقل هو الاكثر ارتباطا بالسياسة من الجيل الثانى لحركة الشعر الحر فى مصر ، فى حين يمكننى القول : ان محمد عفيفى مطر هو الاكثر شاعرية · أعنى روح الشعر· وفى حين ارتبط عبد المعطى حجازى بالمعارك السياسية العربية فى شعره نجد صلاح عبد الصبور اتجه بعد « الناس فى بلادى » الى الفلسفة وهجر السياسة ولكنه لم يترك فكرة العدالة والحرية . لقد اشتهر صلاح فى الخمسينات بقصيدته « شنق زهران » وهى قصيدة ثورية وليست قصيدة سياسية .

فى عام 1966 أجريت حوارا صحفيا طويلا مع صلاح عبد الصبور ، نشرته مجلة « الافق الجديد » التى كانت تصدر فى القدس وكنت مدير مكتبها فى القاهرة . وفى عام 1966 أيضا كتبت دراسة طويلة فى نفس المجلة عن مسرحية « مأساة الحلاج » . وقمت بنشر الكثير من قصائده فى هذه المجلة بعضها كان ينشر قبل نشرها فى مصر وبعضها لم ينشر فى مصر . وأذكر أن صلاح اقترح علي أن أجمع المقابلات والحوارات التى أجريتها مع كثيرين منهم· البياتى والفيتورى وحجازى وأحمد رامى ونجيب محفوظ ·· الخ ، لنشرها فى كتاب وفعلت ذلك وسلمت المخطوط لصلاح ، لكن المخطوط اختفى عندما رحل صلاح من بيته الى بيت آخر ولكنه عاد وأكد لى أن المخطوط موجود ولكنه يحتاج الى بحث بين ركام أوراقه الخاصة . ولعله ما زال حتى الآن .

كان صلاح يهتم بالشعراء الشباب وخصوصا أمل دنقل ، الشاعر الشاب القادم من الاسكندرية الى القاهرة . كذلك اهتم بآخرين : كمال عمار وبدر

توفيق وحسن توفيق ومهران السيد ونصار عبد الله ومحمد ابراهيم أبو سنه .. الخ ، وكان لا يترك فرصة في الصحافة او الاذاعة والتلفزة او الندوات الا وتحدث عنهم بحب ودون استعلاء . بل كان يتحدث عنهم كزملاء له .

وكان يعلق على القصائد التى تلقى فى أمسيات الجمعية بلباقة وثقافة عميقة وأهم من ذلك بحساسية نقدية متميزة ، ولعل اللباقة هى احدى صفات صلاح الشخصية . وكان دائما يبحث عن الايجابيات فى النصوص الشعرية فقد قرأت مثلا قصيدتى « زرقاء اليمامة » فى الجمعية الادبية المصرية عام 1966 فهلل لها صلاح وامتدح قدرتى على التقاط ما أسماه صلاح « عصارة الاسطورة » ، وقد ظل هذا المصطلح « عصارة الاسطورة » يعجبنى كثيرا فقد كنت حانقا على النقاد الذين يحبون الاستشهاد بالشعر الذى يستخدم الاسطورة . دون ان يقولوا كيف ؟؟ وكان صلاح معجبا بتوجيهى أنا وامل دنقل الى استخدام رموز التراث العربى . وفى عام 1968 كتب أمل دنقل قصيدته « البكاء بين يدى زرقاء اليمامة » ، فأعلن صلاح بنفسه ولادة شاعر جديد وهام فى الحركة الشعرية المصرية اسمه « أمل دنقل » وقد كان دنقل يكتب الشعر منذ أوائل الستينات ولكنه ظل مجهولا . وحين أشار بعض النقاد فى الصحافة المصرية وفى مجلة « الاداب » البيروتية الى أن أمل دنقل تأثر بقصيدة المناصرة «زرقاء اليمامة» المكتوبة قبله بعامين ، كان صلاح لبقا كعادته ووقف موقف الحياد ومع هذا فقد الح على شخصيا بضرورة الرد على هؤلاء ، « لان الرمز ملك عام » . وفعلا وانطلاقا من احترامى لصلاح وحبى لامل دنقل ، قمت بالرد بنفسى وقد نشر هذا الرد فى مجلة الآداب عام 1968 .

ومهما قيل فان الفضل الاول لولادة امل دنقل ولادة قوية يعود لصلاح عبد الصبور وهذا لا يتناقض مع موهبة أمل الشعرية . ومرة قال لأمل : ان الصورة فى قصيدتك الفلانية مأخوذة من اليوت ، قالها بلباقة ودون تجريح ، وجاءه بالنص الحرفى لمقطع ت٠ س٠ اليوت المترجم للعربية فالمرحوم دنقل لم يكن يعرف الانجليزية .

وقد كثرت ترجمة اليوت فى تلك السنوات ، ولا أبالغ اذا قلت : اننى حفظت « الارض الخراب » و « أربعاء الرماد » و « الرباعيات الاربع » غيبا فى مجملها بلغتها الانجليزية ، وكان الفضل فى ذلك لصلاح عبد الصبور فقد نصحنى بقراءته بلغته الاصلية . ولم يغضب صلاح حين أشرت لتأثره الواضح

باليوت وأن بعض هذا التأثر حرفى . وكنت قد قرأت مقدمة بدر الديب لديوان صلاح الاول « الناس فى بلادى » فقد أشار بدر الديب الى ذلك فى قول صلاح .

جارتى ، لست أميرا

لا ، ولست الضاحك الممراح فى قصر الامير

أو فى قول صلاح : « اننى خاو ومملوء بقش وغبار » . حيث أن التأثر واضح بقصائد اليوت : «أغنية العاشق الفرد بروفروك» و «الرجال الجوف» كذلك قول صلاح فى قصيدته « الظل والصليب » :

انا رجعت من بحار الفكر دون فكر

قابلنى الفكر ولكنى رجعت دون فكر

وهذه القصيدة لصلاح متأثرة بقصيدة اليوت « أربعاء الرماد » . كان لويس عوض وصلاح عبد الصبور هما أول من روج للظاهرة الاليوتية . مثلما روج أدونيس لسان جون بيرس والبياتى لناظم حكمت ومعين بسيسو لمايا كوفسكى ويوسف الخال لروبرت فروست وإزرا باوند وبدر شاكر لشيلى وجون كيتس ونزار قبانى لجاك بريفير والبياتى أيضا لبابلونيرودا وغارسيا لوركا .

وقد كان هذا التأثر وهذا الترويج يستخدم أحيانا من باب الربط بين اسماء الرواد وبين اسماء شعراء عالميين ، فى حين استخدمه النقاد استخداما سلبيا للقول بالتأثر بهؤلاء الشعراء . كان صلاح يقول لى عن هذا التأثر « الشعر مشاع عام وكذلك التأثير والتأثر » وكنت أشعر انه يباهى بذلك وقد كنت مقتنعا بهذا الرأى ليس تحت تأثير صلاح بل تحت تأثير حبى للادب المقارن الذى تعلمته فى الستينات على يدى المرحوم الدكتور محمد غنيمى هلال فى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة .

ولكن الشعراء العرب بعد صلاح ، أصبحوا يستخدمون اسم اليوت وعناوين قصائده وبعض أبياته أو يقلدون بناء القصيدة الاليوتية بمبرر ودون مبرر لدى الشعراء متوسطى الموهبة (للتأكد من ذلك يمكن مراجعة مقال ماهر شفيعه فريد : أثر اليوت فى الادب العربى الحديث ـ مجلة فصول المصرية ـ يوليو 1981) .

(يتبع)

عز الدين المناصره

ترجمة نثرية لشعر لوركا :

الخائنة

بقلم : خليفه محمد التليسي

انا الذى اخذتها الى النهر
ظنا مني أنها عذراء
بينما كانت ذات بعل
كان ذلك ليلة الاحتفال بعيد القديس يعقوب
حيث قفضت المراسم باطفاء المصابيح
وتصاعدت انغام الجنادب
وفى آخر المنعطفات
لمست نهديها الناعسين
فتفتحا فجاة كاغصان الياسمين
وحفيف تنورتها المنشاة
كان يرن فى اذني
كقطعة من الحرير
مزقتها عشر سكاكين
وبلا اضواء فضية على القمم والذرى
نمت الاشجار
وافق من الكلاب
ينبح بعيدا عن النهر

اجتزنا اشجار العليق
والعوسج
وتحت جدائل شعرها
صنعت مرقدا فى الارض
الرطبة الندية
خلعت ربطتي
نزعت لباسها
خلعت حزامي ومسدسي
نزعت صدريتها
ليس للحلازين
رقة ورهافة هذه البشرة
ولا للبلور
ذلك السطوع الذى كان لها فى ضوء القمر
كان فخذاها يفلتان مني
كما تفلت الأسماك الفزعة
وكان يتنازع جسدها
لفح النار الموقدة

وطراوة الجنة الندية
لقد عدوت تلك الليلة
اروع الاشواط
فوق مهرة شقراء
بلا سرج ولا لجام
وكرجـل
لا ارغب في ان افضي
بما اسرت إلي
إن نور الفهم
يجعلني اكثر رزانة ورصانة
مشوهة بالقبل
ملوثة بالرمال

أخرجتها من النهر
ومع هبات النسيم
كانت سيوف الزنبق تتشابك
لقد تصـرفت كمـا ينبغي لمثـل ان
يتصـرف
وكغجري اصيل
اهديتها سلة حريرية
بلون التبن
ولم ارغب مضاجعتها
قالت : إنها عذراء
حين أخذتها الى النهر

خليفه محمد التليسي

ننشـر مستقبـلا

الحب ومفهومه في « أغاني الحياة » — 3 — عبد الحميـد الشـابي

المنفى (شعر) .... عبد الله مالك القاسمي

وجيب الأمطار (شعر) .... عبد القـادر شـروده

حذائي في الماء ويحترق (شعر) ...... الصـادق شـرف

ليلى .. لا ألف ليلى !

قصة : فاطمه حيدري

الذكريات ، حقيرة .. عظيمة كثائر متمرد .. لا تفارقك تراودك ... خيبة الماضى تقتل حاضرك فتموتين كل يوم مرة، عالم بحاله فى أعماقك يتلوى وأنت تتناسين ... تضحكين بلا مبالاة ... تتزينين ، تفرحين مع الجميع، لكن فى الحقيقة تغالطين نفسك ... فأنت مع افراد عائلتك فى البيت كالاجانب ... الضحك له وزن ... كانما ليس لك اهل .. فانت مع وحدتك دائما .. وانت ... مع تساءلاتك وتأملاتك دائما .. وانت تجابهين الحيرة كلما نظرت فى وجه أمك الضعيفة ...

فى البيت لا تتحدثون كثيرا ، محور الحديث مع أبيك عن النتائج المدرسية ويا ويحك ان اظهرت شيئا جديدا فى وجهك ! أو فى لباسك وانتبه لك أبوك !! يقف فى وجهك غاضبا صارخا :

ـ أنسيت بأنك تلميذة بسيطة يا ليلى !؟ ترقبى حتى تأتيك ابن الحلال ، هذا بيت الطاعة له قوانينه ، والمدرسة ليست قاعة تجميل ، دورك بيننا يا ابنتى أن تغذى روحك بالمعرفة وأرواحنا .. أن تطردى عنا شبح الجهل .

هكذا كانت الدروس والنصائح التى يسديها اليك أبوك منتقدا كل فتاة من بنات جيلك معلنا :

ـ آه .. لو كنت وزيرا للتعليم لاضفت ساعة فى الاسبوع لجميع التلميذات، يتعلمن فيها كيف يحترمن هيبة المدرسة ، لارتاح أنا فى البيت من اعطاء النصائح كلما رأيتك تميلين الى تقليد «شفيقه» بنت الجيران ... حاولى بأن تحترمى نفسك والا ....

ـ الحمد لله على ان اباك لم يكن فى يوم من الايام وزيرا للتعليم والا تلعرنا من قراراته ونادينا باستقالته .

المدرسة تذكرك بأيام التقبض والتعثر ... فقدت فيها لذة الارتواء بالمعرفة ، وككل فتاة كنت تحبذين النقاش مع زميل ما .. خارج الدروس لست تدرين لماذا ؟

ولكن ليس من حقك ان تتبادلي حتى التحية مع زملائك ! طبعا فمدرستك كادت تجمع كل أفراد العائلة : هذا أخوك تلميذ وابن خالك تلميذ ، والقيم العام زميل لعمك ! اذن انت مجبرة بأن تحافظي على تصرفاتك وتزني خطواتك كي تتجنبي أية ضجة تحدث فى البيت والا كان نصيبك المطبخ كما يقول أولي أمرك ... وأنت من طبعك غيورة على مقعدك فى المدرسة .. على كتابك ومحفظتك الصغيرة التى تحتضنينها الى صدرك صباح مساء ..

فى بيتك تشتاقين الى مشاهدة البرامج التلفزية لكنها حرمت عليك بتاتا ! لماذا ؟

ـ هذا مسلسل تافه ... وهذا الشريط السنمائى للكبار فقط ...

لكن توجد برامج معينة يسمح بمتابعتها لك مرة فى الاسبوع ... وأنت ترفضين مشاهدتها لانك اجتزت مرحلة معينة من حياتك ، لانك كبرت والدائرة التى حددت لك لتحومي فيها ضيقة وابوك مازال يظن انك طفلة .. يخاف عليك من الابتعاد كي لا تدوسك الارجل ...

نعم حرمت عليك التلفزة فبدأت تختلسين بعض المجلات لاخوتك الذكور ... مجلات تتحدث عن عالم آخر واسع .. شيق وجديد بالنسبة لك وأنت من طبعك تحبين معرفة كل ما هو جديد ... ومن حين لآخر تدسين فيها وجهك لتشمي رائحتها ... وتعيدي قراءتها ... وان فاجاك فرد من أفراد العائلة ، تتصنعين قراءة درس التاريخ بصوت مرتفع ومرتبك ... ويا ويحك ان نسيت بعض المجلات على مائدتك الصغيرة ! ، فسيعقد لك مجلس تأديب ، وتجدين نفسك فى موضع حرج وتقسمين بالقرآن كذبا وخوفا وفى قلبك تطلبين من الله بأن يغفر لك وتتهمين أخاك فلان بانه صاحب الفعلة ، وتبدين أمام الجميع محمرة الوجه مرتعشة النبرات والحياء يكاد يقتلك .. وتشاهدين كل الاعين تحدق فيك كأنها تتهمك بأنك تغيرت فى سلوكك وان معرفة هذا العالم الجديد ـ عالم هذه المجلات الوديعة ـ جريمة تفكرين فى ارتكابها . وتعادلت الذكريات لديك وتساوت فى الوزن ...

عندما كنت تدخلين البيت من المدرسة يحجر الخروج عليك من جديد كم حاولت بأن تجالسي بنت الجيران ..! ان تتحدثي فى أى موضوع كان ...

ان تتشاورى معها فى بعض الامور وأنت وحيدة بين الذكور ٠٠٠ غرباء فى بيتكم ، وأنتم تحملون نفس الهوية ...

بنت الجيران ٠٠ التعامل معها محجر لانها تعيش على نمط أوربى ٠٠٠ أبوك ينعتها بالتهور اما أنت فهو يراك كأنك نزلت ليلة القدر ، بريئة من كل الاخطاء رغم كل هذا تعجبك بنت الجيران «شفيقـة» لانها تعيـش دون مركبات ٠٠ تعيش بحرية مطلقة فى عائلة تعددت فيما الآراء دون تضارب ٠٠٠

كم من مرة حاولت تقليدها ٠٠! فاحتميت بغرفتك وأحكمت غلقها مـن الداخل ، وجلست متجاهلة ما يحدث خارجها ، تفننت فى مسك السجائـر البنية اللون بين أطراف أصابعك ٠٠٠ وأنت تشاهدين دخـانها الرمـادى اشباحا تملأ أرجاء غرفتك وتعيدين الثانية والثالثة والرابعة حسب ظروفك النفسية ويختنق صدرك وتدمع عيناك وتحسين بدوران فى رأسك وفجأة يطرق الباب ٠٠ تتظاهرين بتغيير ملابسك حتى يتسنى لك فتح النافذة لتمتزج رائحة سجائرك برائحة البنزين وروائح اخرى آتية من الشارع الرئيسى ٠

حتى أمك ليست ككل الامهات ٠٠ تمنيت عندما يحاسبك أبوك على بعض الاخطاء ان تحتمى بها ، تتولى لسان الدفاع عنك ٠٠٠ تمنيتها صديقة ٠ تحفظ اسرارك مثل معظم الامهات ، بالعكس ٠٠ هى انسانة بسيطة ، ليست بصيرة بالاشياء ولا تدرك حقائقها ٠٠٠ فهى تحترم أباك الى حد الطاعة التى تقلقك ، فكلما صاح فيكم غاضبا ، تحتمى بالمطبخ ، تتظاهر بغسل الاوانى ٠٠ أو بشىء آخر ٠٠٠ وان أدى بها الامر الى مواجهته يصرخ فيها قائلا :

ـ اسكتى يا امراة ، أنت تجهاين ما يدور خارج البيت فقد تغيرت الاخلاق وغاب الحياء ، فاصفرت الوجوه فالتجأت الى المساحيق تغلف بها تلك الصفرة الفاقعة ٠٠ وانتحرت القيم على قارعة الطريق اسكتى يا امراة ، القرآن يكاد يرفع ٠٠ وهكذا نخسر كل شىء ، ديننا ، أولادنا وانفسنا ونمضى عبثا ٠٠٠ لم لا ٠٠ يا زوجتى العزيزة ٠!؟ حتى فى المقهى بنت حواء تزاحمنى ٠٠٠ لم تجد وقتا كافيا لتناول قهوة الصباح فى بيتها ٠٠٠ لان الالوان التى لطخت وجهها اخذت كل وقتها ٠٠٠ يا امراة يجب ان نحافظ على قدسية البيت كما حافظ آباؤنا عليها من الاذى ٠٠ من الذئاب الجائعة التى تعبث ٠٠ وتبعث الرعب فى كل عائلة وديعة ٠ وان لم نفعل نكون قد اذنبنا فى حقها ٠٠٠

تسكت أمك مؤيدة كلامه بدون نقاش فى تخاضع وتواضع ، فتحسين بانه يظلمك وهو يحكم بمقابيس عقله ، كانه القانون الضابط ٠٠٠

على تلك الشاكلة تمضى الايام بك وأنت تتخبطين غير مرتاحة ، تظهـر أمك وقد طرأ عليها تغير مفاجىء ، بطنها انتفخ وبدأت تجر خطواتها كثيرة التالم ٠٠٠ سريعة الغضب على غير عادتها ٠٠٠ تحيرت ، انزعجت وانزويت أنت تسالين نفسك :

ـ ما هذا؟ ماذا فعلت ؟ أما يكفيها هذا الفريق المزعج من الاطفال الذى تنقصه كل الضروريات ليسير فى طريق أفضل ، وأنت يا أبى قضيت حياتك تسدد سهام النصائح لنا ٠٠ لو وفرتها لنفسك ، لكنت المستفيد ٠٠٠ الدخل ضئيل! كراء البيت ! والاكل ! والعلاج ! وغير ذلك كثير ٠٠ وكثير جدا !

كنت تتالمين فى قرارة نفسك عندما تشاهدين بطنها يعلو يوما بعد يـوم وشهرا بعد شهر وتبدو لك ضعيفة كأنها عبد مملوك ٠٠ تأخذ بكل ما يفرضه عليها أبوك بالرغم عنها وليس من حقها أن ترفض ٠٠٠ كم من مرة سمعته عن حين غفلة ودون قصد وهو يقول لها :

ـ اسمعى يا امرأة، الدين صعب، عسير، طاعة الزوج واجبة، المرأة لا تنام بجانب بعلها وهو غاضب عليها ٠٠٠ تطلب رضاه قبل النوم ٠٠٠ فيرضى الله عنها ٠

كان بودك أن تصارحيها ٠٠ أن تشرحى لها بعض الامور الحقيقية ٠٠ لكنك تشعرين بالخجل فتتراجعين ونفسك تود لو تقولين لها :

ـ لماذا لا تقررى مصيرك ؟ لماذا الحوار يبدو مستحيلا بينك وبين أبى ؟ لماذا تأخذين الاشياء فى صمت ؟ أنت لست محرومة لقد أعطاك الله من البنين اكثر مما تشائين ٠٠٠ اليوم أصبحت عاجزة جسمانيا وأبى فعلت فيه السنون ما فعلت وهو فقير الحال لكنه عنود ٠٠٠ وانت يا أمى تحققين طلباته وهو يزداد قوة علينا بخضوعك انت له يرأسنا ولا نخالف رأيه ٠٠٠ كلنا مازلنا فى مفترق الطريق ٠٠٠ ماذا سنفعل بالمولود الجديد ؟٠٠٠

وترقبت ترقبت مجيئه كرها ٠٠ وجاء اليوم الموعود ٠٠٠٠ كان أبوك غائبا عن المنزل ٠٠٠ وفى ساعة متأخرة من الليل ٠٠٠ استيقظت مـرتبكة ٠٠٠ احسست بأمك تتالم فى صمت والجميع فى سبات عميق ٠٠ غيرت ثيـاب النوم بسـرعة .. اتصلت بجار لكـم .. حملتماها على متـن سيـارة الى المستشفى وصلت بعد ساعة ، لا تعرفين قسم الولادة ٠٠ ركضت فى جميع ارجاء المستشفى من الاسفل الى الطابق الاعلى ناديت ولا من مجيب ٠ كـان الجميع نيام حتى الحارس !

أخيرا أدخلتماها القسم الاستعجالى وقد ذهب من الليل شرخه ٠٠ فى تلك الردهة الاخيرة من الليل.. كأن عشرات من النساء على موعد واحد.. صراخ.. كلمات تتردد فى معنى واحد ٠٠٠ ، بحثت عن صوت أمك بين النسوة فضاع عنك ٠٠٠٠ الممرضة تمر ٠٠ تشتم ٠٠ تأمرهن بالسكوت لعلها ملت مما يحدث كل ساعة ٠٠ تتوتر اعصاب الممرضة ٠٠ تدخن ٠٠ تترشف قهوة سوداء ٠٠ تنظر فى المرآة من حين لآخر وأنت تطلين من كوة فى زجاج النافذ تقشر طلاؤها ٠٠ تبكين ، تبكين ٠٠٠ تطلبين الله بأن تبقى أمك على قيد الحياة ٠٠ نعم يجب ان تعود الى البيت بمولودها فى سلام ٠ حتى لا يبحث ابوك عن فرصة جديدة ٠٠ يجىء بامرأة جميلة صغيرة تبعث فيه الشباب والسيطرة من جديد ، وتبعث الشحناء بين أفراد الاسرة القدماء والجدد ٠

استيقظت من شرودك على صوت الممرضة يبشرك ولد ٠٠ ولد ٠٠ وقد أشرق الصباح على طقس بارد فعدت مسرعة تبحثين عن النوم والدفء ٠٠٠ وأمام عينيك صورة امراة وضعت مولودها وخرجت من غرفة الولادة تحتض الحائط تتلمس الارض بأصابع رجليها ٠٠٠ هامدة القوى ٠٠ تتحسس سريرها ٠٠ بلا معين حتى تكره الحمل ٠٠ خرجت أمك من تلك الولادة التاسعة منهوكة القوى ٠٠ صفراء الوجه ٠٠ مرتخية الاشلاء ٠٠ شبح أو بعض شبح ٠٠ ليس لها من المقومات الغذائية ما به تقوى على النحول ٠٠ ليس لابيك طاقة على تلبية حاجتها وحاجة وليدها الى الغذاء والدواء ورفاه العيش ٠

منذ ذلك اليوم بدأت تفكرين ٠٠٠ ولكن لن تحدث المعجزة ٠٠٠ اذن الانقطاع عن الدراسة هو الحل الوحيد ٠٠٠ لكنك بقيت مترددة فى تفكيرك، لان الدراسة سلاحك الوحيد ٠٠ أنت تودين أن تدسى نفسك فى الحياة الجامعية كى تهربى عن الجو المختنق ٠٠٠ وفعلا مرت الايام ٠٠٠ بدأت تبحثين عن عمل لتسديد حاجيات العائلة التى تتفاقم، والسوق مزعجة، والطلبات مخجلة، والمولود الجديد جاء برقم جديد ينفذ طلبه قبل الآخرين ٠٠٠ وبعد جهد اشتغلت ، دخلت عالما واسعا ، اعطيت كل ما عندك ٠٠٠ اتقنت عملك ، اعطاك رئيسك كل الثقة ٠٠٠ وكنت فى المستوى المطلوب ٠٠٠ شعرت بفرحة عارمة ، وانت تغدقين على عائلتك من عرق جبينك ٠٠٠ وجالت بمخيلتك فكرة تغيير المنزل ليتمتع أفراد الاسرة بنصيبهم فى الحياة من سىء الى أحسن لكن الايام نكثت ما واعدتك به ٠٠٠ خدعت نفسك ٠٠٠ ضحكت من افكارك ، مما رسمته من مشاريع، يوم صادفك من غير واقعك..وأجهز فيك على المعتاد !

كان يحتل مكانة هامة فى المؤسسة يعتنى بقسم الهندسة. أحسست بأن له ميزة خاصة وانه صاحب شخصية مرحة ، معتز بنفسه ٠٠٠ أعجبت به ٠٠٠ وانقلب ذلك الاعجاب الى احساس آخر ٠٠٠ كنت تطالعينه فى تلك المجلات والكتب التى كنت تختلسينها من اخوتك الذكور ٠٠٠ احببته بقوة ٠٠٠ انه رجل يجمع بين اللين والشدة ٠٠٠ وحملت ذلك الاحساس فى قلبك صامتة خوفا من أن تحيلك المفاجأة ضحية ٠٠٠ تأملت فى الموضوع مليا ، لانه بدأ بدوره يقترب منك ٠٠٠ فامسيت تخافين لحظة ضعف يكون فيها انهيارك فتصبح لقمة العيش على حساب كرامتك بل كرامة تلك العائلة البسيطة التى تاخذ منك مرتبك شاكرة ٠٠٠ وقفت عاجزة لانك دخلت منطقة ، غريبة غامضة ذات شعاب ٠٠٠٠ الرجل قوى على امتلاك انسانيته ينام الذكاء فى عينيه٠٠٠ حبه حملك الجهد القاسى الذى ادى بك الى فقدان توازنك ٠٠٠ همس لك قيس بن الملوح من بين كتبك المدرسية المكدسة فى زاوية من غرفتك هاتفا بك :

وانى من الباوى اسير صبابة وزادت بى البلوى بكر مرورها

لقد غزى كبرياءك فتحداك ، فواجهته عندما اكتشفت بأنه يشرب حتى الثمالة ٠٠٠ المرأة فى نظره متعة فقط ، ساعة من النشوة يحياها ، صاحب سياسة يدير مهامه بفطنة بذكاء متوقد ٠٠٠ غريب الطباع فى معاملته ٠٠٠ الزواج فى نظره عبث ٠٠٠ البيت والاولاد جريمة ٠٠٠ لكنه أظهر لك عناية خاصة وانت لا تستطيعين الاستغناء عنه لانه يحيطك بعطف كبير أنساك نسبك ٠٠٠ وجاء يوم الاختبار حملته على الاعتراف ، جردت نفسك من كل خوف حتى تدركى اى نوع من النساء انت فى حياته ٠٠٠ كان النقاش طويلا٠٠ كنت صريحة ، واضحة دون ارتباك ٠٠ وافق بكل كبرياء ان يطلب يدك ٠٠٠ وضع امامك شروطا قاسية ، قبلتها من اجل قلب يحترق ٠٠٠ يومها طال الحوار بينكما ٠٠ اخذك الى حيث يرفض المنطق ٠٠٠ قال لك :

ـ زواجنا لا تقيده ورقة قانونية ، لقد تعودت على نمط معين من العيش٠٠٠ ما دام الحب موجود ، نحن أحرار ٠٠٠

كان الطلب مفاجئا ٠٠ والصدمة قوية ٠٠٠ شعرت بانهيار عصبى ٠٠٠ جعلك تمرين بفحص طبى ، لازمت الفراش ٠٠ بكيت بمرارة ، اعتبرت ذلك نوعا من امتهان كرامتك عبارة عن صاعقة نزلت بالمكتب ، بالحى دمرت كل جميل وثمين ٠٠٠ طلبه زعزع كيانك حتى فقدت القدرة على تقييم المواقف٠٠٠ تحققت بأنك دخلت فى مجتمع انتهازى ٠٠٠ اجل ٠٠ ما دام الزواج أصبح مذكرة شفوية بدون توقيع ٠٠٠

فى ذلك المساء ··· جلست وحيدة · تتسائلين عن أشياء طبيعية :
ـ الزواج ! المرأة فى حياة الرجل ..! الحب ..! سر الخيانة ! الفقر ! الغنى !·· الزوال ! وما بعده ··!

كان الطقس حارا حتى فى داخل غرفتك التى يعينك الليل فيها على التفكير؛ تعبت من التفكير حتى بدا حاجب الشمس فاسترخيت فى فتور ··· والتجأت الى الله فى نومك ويقظتك ، حيثما كنت أن يهبك الصبر حتى تخرجى من اليم بسلام··· فرارا من أمواج البحر التى تهددك··· تترصدك وانت تعلقت به بالامس، احببت فيه ذلك الهيجان ذلك الزحف من حين لآخر··· أخذك من واقعك··· من هدوئك··· تمشين منهارة، تقيسين المسافات بصعوبة حتى لا تحيدى عن الصواب··· ولاول مرة فقدت توازنك لتفهمى نوعا من الرجال··· فتمنيت فى لحظة غضب لو ترتج الارض وتبتلع النساء فقط··· كل الفصول شتاء برد ·· ثلج ·· رياح صرصر يموت الحب فى قلوب النساء عندما تتوقف عن النبض تتقطع الاصوات ، ينتهين فلا يسمع لهن صريخ ··· لتصيرى انت سيدة الكون ··· ليصبح حبيبك رجلا واحدا لامرأة واحدة ··

دخلت منطقة الشر ··· كدت من أجله ان تجهلى دينك وذاتك ··· ولاول مرة تشعرين بأنوثتك ··· تعلقت بالحياة ··· غيرت لون شعرك ، أحب اللون الاحمر والوردى ·· فاخترت فساتينك كما أراد ··· بأمر منه··· صرت هزيلة الجسم ··· لانه لا يحب المرأة البدينة ·· صعب الامر عليك ·· شاركت أمك فى الموضوع ···

ـ لماذا هذه القوانين التى تأخذ فى شأن الزواج ؟ لماذا نلجأ الى احضار شاهدين لامضاء العقد ؟

ـ لماذا هذا الرجل يهرب من الواقع ··· من القانون ؟ لو كان حقا ·· أحبك لفعل المستحيل ··!

أجبتها فى خجل :

ـ لقد خلق هكذا يا أمى ··· يرفض الاشياء التى تفتك منه حريته ··· لا يؤمن بالتحقيقات فى شأن الزواج ···

خرجت غاضبة ثائرة ، تتنفسين بصعوبة ··· خرجت والدنيا فى نظرك صغيرة ، صغيرة مقعدة ، لعنت التقاليد التى تضغط عليك لانك خلقت امرأة ··· بدأ الظلام يخيم على الحى ··· عدت منكسرة الخطى والخواطر··· نمت مرهقة بعدما أعادك الى حدود الواقع ··· استسلمت لان القانون فوق كل شيء ··· لانك فى نظره فقيرة لا تملكين ما يملك ·· ورغم أن التجربة فاشلة فقد مكنتك من معرفة نوع من الرجال ··· أصبحت عاجزة على التفريق بين الخطأ والصواب ···

انت لك عالم وعالمك يحوم فى دائرة صغيرة ، العمل والبيت ٠٠٠ شعرت بانك شابة اشرفت على سن تخول لك الاشراف على ما يدور خارج الحلبة ٠٠٠ أعصابك توترت ٠٠٠ سئمت الاوامر ٠٠ تريدين أن تتوسعي أن تتمتعي بمياه البحر ٠٠٠ ان تستلقي تحت اشعة الشمس لينال جسمك لونا آخر ، أن تطردي برد الشتاء ٠٠ ان تحضري زفاف زميلاتك ٠٠٠ أن تسافري عبر الاجواء ٠٠٠ أن تغني ٠٠٠ أن تتعلمي الرقص ٠٠ ان تهربي من قبضة العائلة أن تصيرى أنت التى تقررين وتختارين وليس ثمة مخلوق يشدك الى الوراء٠٠ أن تخرجي فى الليل ٠٠ ان تتصرفي بلا حدود أن تقفي عند الحدود التى تريدين ، لا نهي ولا أمر ، أن تنتقدى افكار أباك ٠٠٠ مبادئه ٠٠ ان تجعلي من نصائحه خرافات ٠٠٠ لكن ذاك خارج عن نطاقك ومحيط عائلتك ٠٠٠ فى هذا العصر ٠٠ عصر الحرية وما بعد الحرية ٠٠٠

اليوم عندما واجهت المجتمع مشتتة الخواطر طلب منك أول رجل عرفته الزاوج لفترة معينة ثم ترحلين قبل أن تصبحي مملة بلا طعم ٠٠٠ كم هو ذكي الى حد الغباوة ٠٠! بل كم أنت غبية ! كنت مجرد طفلة تخافين الاوامر ٠٠٠ أبوك أيضا كان غبيا لم يعلمك الشجاعة منذ حداثة عهدك حتى لا تفاجئك الامواج زاحفة واليوم كبرت فارتميت فى لجة الاستمتاع حتى فاجأك البحر ــ وقد دخلته بلطف ٠٠ بكل وداعة ٠٠ بقلب صادق ــ بتقلباته فكدت تغرقين لولا قوة ارادتك ٠٠٠

المؤلم أنك لم تنسى ما جد وحدث على ساحة الحب ٠٠ تغالطين نفسك ٠٠٠ تتناسين ولكن خياله لا يفارق مخيلتك ٠٠٠ تهتمين بغيابه عن المؤسسة تحفظين جدول أوقاته ٠٠ وهو لا يهتم بك ٠٠ دائما مستعجلا القهوة والسجائر تحرق داخله ٠٠ الاوراق النقدية تزيده نشاطا ٠٠ بعد الثامنة مساء يمر بمطعمه المفضل ٠ يرمى فى بطنه لحما مشويا ٠٠ قارورة من الخمر تهضم ما بداخله ٠٠ فيخرج وقد جالت بعقله المخمور الف حكاية فى سيارته ٠٠٠ يحملق يمنة ويسرة بنظرات وحشية جنونية ٠٠ يبحث عن سمكة لفظها البحر فباتت تتنفس بصعوبة تطلب نفسا كي تعود الى حيويتها٠٠ وانت تتالمين تنهش الاسماك وجدانك ٠٠ فى غلبة وخوف ٠٠٠ الظنون والشكوك استولت عليك ٠٠ وهو يمارس الخيانة أمام عينيك ٠٠ فتموتين ببطء ٠٠٠

ــ يتبع ــ

فاطمة حيدري

العقلية العلمية عند الشابي من خلال مذكراته

بقلم: د. عبدالقادر بشته

المقدمـــــة :

ان الحديث عن العقلية العلميـة عند الشابي لا يمكن ان يكون بمثـل دقة حديثنا عن العقلية العلمية عند العلماء امثال نيوتن واينشتاين وغيرهمـا ولا يمكن أن يكون كمثـل دقـة حديثنا عن العقلية العلمية عند المتعلمنين أو المثقفين علميا أمثال كـانط وبشلار وغيرهما . ذلـك ان الشـابي شاعـر وناقد أدبي ورجـل حقوق الخ ... ثم انه لم يعش طويلا حتـى يتسنـى لـه الاحتكاك بالعلوم عن قـــرب .

لكن في امكاننا مع ذلك القول : إن الكتاب الذي عنوانه **مذكرات الشابي** (1) يحتوي على ما يمكن أن نسميه عقلية علمية وذلك لسببين اثنين :

1) ان هذا الكتاب يبرز ان شاعرنا له زاد علمي معين من شأنه ان يكون عند صاحبه عقلية علمية معينة . ونقصد هنا بالعلوم العلوم الطبيعية والانسانية على حد السواء .

2) هذا الكتاب يظهر ان الشابي يؤمن ببعض الافكار المكونة للعقلية العلمية ولو كان الشابي لم يقصد تحديد العقلية العلمية في حد ذاتهـا ومحاولتنـا السريعة المتواضعة هذه ستحتوي على تحليل لهذين العنصرين .

اما خاتمها فستلخص ما سنذهب اليه كمـا ستتضمـن دعـوة ملحـة الى الاعتناء بالشابي من هذه الزاوية بالـــذات .

★ ★ ★

1) مذكرات الشابي : الدار التونسية للنشر ـ النشرة الرابعة .

1 ــ اطلاع الشابي على العلوم الطبيعية والانسانية .

أ ــ العلوم الطبيعيـــة :

في ما يخص العلوم الطبيعية يبدو من خلال **المذكرات** أن للشابي اطلاعا على الاقل على ثلاثة أشياء هي :

1) الثقل النوعي وهو ما نسميه بالفرنسية بـ (Le Poids Spécifique !)

2) الجـاذبية .

3) العلم الاينشتايني .

نجد فعـلا اشارة الى الثقل النوعي فـي المذكرة الخاصـة بيوم الاربعاء 8 جانفي 1930 (2) وفي هذا النص يقول لنا الشابي : « وكان صاحبنا قـد شعر بان **مركز الثقل النوعـي** قد كان كامنا فيه فتحرك وتحفز وأخذ ينظر . ولما رأى أنه لم يقسم عليه أحد ليطيل الجلوس نهض واقفا ثم ودع وانصرف » والشابي يتحدث هنـا عن ذلـك الرجل الذي يعمـل بالمدرسة وهو رجـل سخيف ثقيل الظل ازعج الجميع واقلقهم رغم عدم انتباههم له وعدم اكترائهم بــه .

ونحن نعلم أن مفهوم الثقل النوعي له معنى دقيق في الفيزياء وهـو يعني أساسا أن لكل جسم ثقلا خاصا به ، فللذهب وزن خاص به وكذلـك القول بالنسبة الى الماء وسائر الاجسام : وهذا الثقـل النوعي يتجلى عندما تأخـذ حجما (Volume) معينا من الماء ونفس الحجم من الحديد ونجـد أن الوزن يختلف رغم ذلك (3) .

ومن الواضح ان الشابي يتحدث عن النوع الانساني وعـن الثقل النوعـي الانساني الذي هـو متجسم فـي ذلك الرجل الثقيـل السخيف كما يقـول

---

2) مذكرات الشابي : ص 37 .

3) راجع : أ) كتاب اولار (EULER) الرسالة رقم 46 ــ القسم الاول
Lettres à une Princesse d'Allemagne

ب) ص 32 Physique, Classe Terminale C.

ج) وقد تحدثنا بدورنا عن هذا المفهوم في محاضرة بعنوان:
Mathématique et Réalité : L'exemple d'Euler
المؤتمر المغربي للرياضيات ــ جانفي 1983 بالمنستير .

الشابى نفسه . وبهذه الصفة يكون الشابى قد فهم فهما لا بأس به المفهوم العلمي الذي يشير اليه في النص المذكور .

اما في ما يخص الجاذبية فنحن نجد اشارة اليها في المذكرة الخاصة بيوم الثلاثاء 28 جانفي 1930 (4) والشابى يقول : « ثم انتقل بنا الحديث الى « السدم » واقسامها ، وجاذبيات النجوم .. » الخ ..

كان الشابى يتحدث عن الجاذبية مع زمرة من اصدقائه من جامع الزيتونة المعمور وكان الجماعة يدرسون الحقوق .

صحيح أن الشابى يشير فقط هنا الى مفهوم الجاذبية هذا المفهوم الفلكي النيوتني ، وهذه الاشارة في حد ذاتها لا تعني أن صاحبنا له اطلاع دقيق في هذا الميدان . انها تعني فقط ان الشابى على اطلاع معين في هذا البـــاب .

لكن هل في الامكان تقويم درجة هذا الاطلاع ؟ لا ننسى ان القوم كانوا يتناقشون في مسائل فكرية شتى وهذا النقاش يدل على ان هؤلاء الطلبة كانوا على اطلاع محترم بالنسبة الى طلبة يدرسون الحقوق في الميادين التي هي محل نقاش بما فيها قضية الجاذبية ويمكن ان نقول اذن : إن الشابى كان مطلعا اطلاعا محترما في ما يخص هذه القضية بالذات (5) .

وعلى كل حال فباقي الفقرة التي يشير فيها الشابى الى « جاذبيات النجوم » كما يقول هو بنفسه تبرر هذا التقويم . وهذا النص يخص اينشتاين لنصل اذن الى هذا البـاب وسوف نرى كيف ان فهمه فهم محترم بالنسبة الى طالب يدرس الحقوق .

يقول الشابى وهو يواصل الاشارة الى المواضيع التي وقع النقاش فيها : « ... ثم الى فلسفة اينشتاين الفيلسوف الالماني الكبير ، هاته الفلسفة التي تحاول أن تقلب ما اطمأنت اليه ادمغة الفلاسفة والطبيعيين رأسا على عقب ، هاته الفلسفة التي مثلها في الفلسفة المادية مثل الفلسفة « اللاأدرية » (6) في مذاهب الفلسفة الاخرى » .

---

4) مذكرات الشابى ، ص 71 .
5) فيما يخص الجاذبية ، راجع مثلا ص 37 من كتاب Physique Terminale C وراجع كتاب *Principia* لنيوتن ــ نشر Blanchard
6) مذكرات الشابى ، ص 71 .

وفي الواقع لا نجد هنا مجرد اشارة بل حكما موجزا لكنه دقيق . فما هي قيمة هذا الحكم ؟ ولعل الاجابة على هذا السؤال تدلنا على مدى معرفة الشابي لفيزياء اينشتاين .

لنلاحظ أولا ان الشابي يبدي شيئا من عدم الدقة عندما يتحدث عن فلسفة اينشتاين وعندما ينعت هذا الاخير بكونه فيلسوفا المانيا . الأصح هو أن نتحدث عن علم اينشتاين او عن فيزياء اينشتاين وان نقول ان هذا المفكر عالم او فيزيائي ونحن لا ننكر ان علم اينشتاين يخفي فلسفة معينة هي بمثابة الركيزة والاساس لهذا العلم بل نؤيد الفكرة القائلة ان لكل علم ركيزة وأساسا فلسفيين . وقد بينا هذا في عدة مناسبات . لكننا لا نعتقد ان الشابي يشير الى هذا بل تراه يقصد الافكار العلمية التي قال بها اينشتاين وعلى كل حال فهذا المفكر عالم قبل كل شيء وهدفه كان بناء علم جديد ولا فلسفة جديدة .

ولنلاحظ ثانيا ان الشابي يقارن الفكر الاينشتايني بالفكر « اللاأدري » ، ونحن نعتقد أن هذا خطأ ذلك ان اينشتاين وصل الى نتائج ثابتة ونهائية خلافا للفكر « اللاأدري » الذي لا يصل الى أية نتيجة نهائية والحديث عن ثبوت ويقينية الحقائق الموجودة في فيزياء اينشتاين خاصة وفي العلوم الصحيحة عامة أمر بديهي وعلى كل حال فقد أشرنا الى هذا في مناسبة أخرى .

ورغم هذه السلبيات فالشابي يقول قولا صحيحا يدل على ان صاحبنا فهم شيئا هاما جدا وذلك عندما يذكر أن اينشتاين حاول قلب ما اطمأنت اليه ادمغة الطبيعيين . نؤاخذ الشابي فقط على كلمة **حاول** لان اينشتاين في الواقع قد نجح في محاولته وقلب فعلا ما اطمأنت اليه النفوس ولقد كان لفيزياء اينشتاين انصار كثيرون في ذلك الوقت .

ومهما يكن من امر فالمهم هو عملية القلب وعملية الانتقال . فالنسبية (La Relativité) في الفيزياء نقلتنا من فكر علمي معين الى فكر علمي آخر . والفكر الاول هو فكر نيوتن وهو فكر الفيزياء الكلاسيكية كما يسميها مؤرخو العلوم ، أما الفكر الثاني فهو فكر اينشتاين طبعا ، فبعدما كان العلماء والمتعلمون يعتقدون أن الزمن يسير بنفس السرعة في جميع الاماكن في الارض وفي القمر الخ .. ولا علاقة له بالحركة بهذه الصفة كان الزمان يعتبر مطلقا أتى اينشتاين ليعلمنا ان الزمان لا يسير بنفس النسق في كل الاماكن فللأرض زمنها وللقمر زمنه الخ .. والزمن

لا يسير بنفس السرعة فى مستوى الجمود وفى مستوى الحركة .وفى كلمة واحدة فالزمن بالنسبة الى اينشتاين نسبى وهو مرتبط أساسا بالمكان الذى يجرى فيه . هذا ببساطة وبكل ايجاز الانتقال الذى حصل وهذه هى عملية القلب .

ولعل الشابى يشير الى هذا فى النص الذى ذكرناه وبهذه الصفة يكون فهم شيئا اساسيا يخص اينشتاين ، وبهذه الصفة قد يكون على اطلاع وبدرجة معينة من الدقة على الحالة الاولى التى عليها الفكر العلمى ونعنى هنا الفكر النيوتنى.ونحن نفهم الآن لماذا قلنا ــ ونحن نتحدث عن الجاذبية ــ : ان الشابى قد يكون فهمها فهما لا يخلو من الدقة. وذلك لان نيوتن ــ والجميع يعلم هذا ــ هو صاحب نظرية الجاذبية . خاصة وان الشابى يتحدث عن اينشتاين مباشرة بعد الاشارة الى قضية الجاذبية ، ولعل صاحبنا اتبع تسلسلا زمنيا ولعله أراد اذن الاشارة فى هذا الصدد الى عملية الانتقال من نيوتن الى اينشتاين (7) .

ومهما يكن من امر فلا بد من اثبات شىء وهو ان الشابى لم يكن جاهلا بالعلوم الطبيعية ولعله كان على اطلاع اوسع فى ما يخص العلوم الانسانية .

ب) العلوم الانسانيــة :

والشابى يقتصر هنا على علم النفس وبالتحديد على التحليل النفسى الذى قال به فرويد (Freud) .

ففى المذكرة الخاصة بيوم الثلاثاء 28 جانفى 1930 (8) يحدثنا الشابى عن العقل الباطن (Inconscient) والعقل الواعى (La Conscience)

---

7) فيما يخص اينشاين راجع مثلا :

أ ــ Comment je vois le monde? Flammarion

ب ــ L'evolution des idées en physique. Enistein et Infeld

ج ــ La Relativité - Enistein - Payot.

د ــ اطروحتنا : L'espace et le temps chez Newton et Kant

الجزء الثالث . نسخة منها موجودة فى المكتبة الوطنية .

هذا ونحن لا نعتقد أن الشابى قد أطلع على اينشتاين من خلال نصوصه فذلك كان مستحيلا فى ذلك الوقت بالنسبة الى الشابى بل نعتقد انه اطلع عليه من خلال دراسات ومناقشات مختلفة ويمكن ان نقول نفس الشىء بالنسبة لاطلاع الشابى على العلوم الاخرى .

8) المذكرات ، ص 69 .

وهذان المفهومان الفروديان كانا موضوع درس تلقاه الشابي وصحبه من طرف الاستاذ « مسيو لاموت » . ومن الواضح اذن انه بامكان شاعرنا ان تكون له معرفة محترمة بهذا الموضوع بالذات خاصة والشابي يبدي في نفس النص شغفا واهتماما كبيرين بهذه القضية الشيء الذي جعله يتهكم ويسخر من تلك النفوس المسكينة والصغيرة والتي لا تهتم بدروس السيد لاموت الخاصة بالعقل الباطن وبالعقل الواعي فتعلمه اذن هذه الدروس عند استاذ واهتمامه بها يدلان على أن اطلاعه على هذه القضية العلمية محترم .

اضف الى ذلك اننا نرى الشابي يتطرق في نفس المذكرة الى قضية الاحلام الواردة عند فرويد كما يعلم الجميع ويفسر الاحلام طبقا للتحليل النفسي الفرويدي كيف ذلك ؟ .

لقد تمكن صديق الشابي من حل مسألة هندسية في حلمه مع انه لم يستطع حلها في يقظته اذ كانت شديدة الغموض ، اما الشابي فقد رأى « منظرا غاية في الروعة والدهاء وسحر الجمال » دفعه الى ان يقول فيه شعرا .

والشابي يمدنا بالتحليل التالي للاحلام : « فقلت له يا صديقي : « اني لا أظن الاحلام الا ضربا من تعلات الحياة التي تكون لنا في يقظتنا آملا وفي سباتنا احلاما فالعقل الباطن الذي تختزن فيه صورة من صور الكمال البعيدة ، لا بد ان يحتال على اظهارها كشيء حقيقي ولو في عالم الاحلام . فالنجوم والتفكير المتواصل فيها ، ومسألة سؤال نفسك عن سر العالم هو الذي جعلك تشاهد في احلامك ذلك المشهد الغريب . وشغفي بجمال الطبيعة واهوالها هو الذي اعطاني في العالم تلك الصورة الغريبة وذلك المرآى البهيج » .

وبايجاز فالشابي يرى ان الحلم هو تحقيق لآمال اليقظة ذلك أن العقل الباطن يخفي تلك الآمال البعيدة آمال اليقظة ويسمح لها بالبروز في عالم الاحلام .

وهذا التفسير العام هو مطابق لتفسير فرويد للاحلام فهذا المحلل النفساني يذهب فعلا الى ما قاله الشابي في هذه المذكرة بالذات . وهذا التفسير الفرويدي متداول ومعروف اليوم لدى المثقفين في هذا المجال او حتى لدى انصاف المثقفين .

والملاحظ ان الشابي لم يتعرض هنا الى قضية الكابوس (Le Cauchemar) والى قضية الفرق بين الكابوس والحلم والى قضية الفرق بين معنى الحلم ومعنى الكابوس ففرويد يعلمنا مثلا ان الآمال التي تتحقق في الحلم هي آمال موجودة في اللاوعي تماما كما يقول الشابي . لكن الآمال التي تتحقق خلال الكابوس فهي آمال موجودة في مستوى الوعي فالامل يتحقق هنا بصفة واضحة وصريحة وفي كلمة واحدة فان الامور ليست واضحة تماما في ذهن الشابي .

وبصفة عامة فالفرويدية او التحليل النفسي الفرويدي أفسح بكثير مما قاله الشابي والمقام لا يسمح لنا بالقيام بعرض شامل لهذا العلم .

ونحن نرى الشابي على كل حال يصف لنا حالة جنونية بصفة دقيقة وذلك في المذكرة الخاصة بيوم الخميس 2 جانفي سنة 1930 (9) وهذا الوصف يقرب الكاتب اكثر من فرويد الذي وصف وصنف حالات الجنون . لكن الشابي يقف عند الوصف الجميل الجذاب فقط .

وكما نرى فمعرفة الشابي بالتحليل النفسي ليست واسعة ولكنها على كل حال على شيء من الدقة ونحن نعتقد أنها اكثر دقة من تلك التي تخص العلوم الطبيعية ، فهذا ما يظهر على الاقل من خلال المذكرات .

★ ★ ★

وخلاصة القول هي انه يمكن ان نجزم ان الشابي غير جاهل بالمجال العلمي في المذكرات . فهو يبدو في هذا الكتاب على الاقل صاحب زاد علمي معين حاولنا تقويمه بايجاز .

وهذا الزاد العلمي لا بد ان يكون مرتبطا بعقلية علمية معينة وهو شأن كل زاد علمي فالمثقف علميا لا بد ان يكتسب من خلال ثقافته العلمية عقلية علمية محدودة أو واسعة بحسب تلك الثقافة العلمية ، والعقلية العلمية هي فائدة من فوائد تعلم العلوم .

ونحن نرى على كل حال ان الشابي يؤمن ببعض الافكار الهامة التي تكون العقلية العلمية .

(يتبع)

د. عبد القادر بشته

---

9) المذكرات ، ص 13 .

الأرجوحة

إبداع : نعيمة الصيد

— I —

متعبة قبلك كانت سفني ...
يوصد البرد نوافذ دمي ...
وييبس عشب جسدي الاجرد ...
يدنو موتي ...
ارفضه ...
اوقد أخشاب عنادي وارحل ارحل...
طفلة تائهة العينين ...
تحلم بارجوحة بنفسجية من غيمة...
تبحث عن قطرة ندى ...
توقظ لحظة انتماء ...
وأمل البحث ... أمجه ...
امل ايامي بلا معجزة ...
واعود من كل رحلة دون حقيبة ...
والكف تدعك لحظات الوهم ...
بوارج من اسفنج تعصر ما فيها ...
من رحيق الشبق ... واللذة ...
اتيت انت ...
ولجت الذاكرة ...
سافر الليل ... نأى ...
أحرقت كل كواكبى القديمة ...
واستند الفجر على نافذة روحي ...
فتح فى الصدر الدفاتر الخضر ...
وتدفق المطر من بين أصابعك
غزيرا ...
ارتوت كل العصافير ...
هوت باقة فرح على شواطىء
الرعشة ...
تمارس الحب رغبة جارفة ...

— II —

يا وهج الصحارى ...
شد أوثاقي ...
خذني الى جمرة الماء والعشق
الكافر ...
واغمر انوثتي ...
الق بها فى أوج الحرائق ...
لم لحمي المبعثر ...
لحمي النار والمعصية ... والدوار .

نعيمة الصيد

روما فى : 20 ـ 11 ـ 84

تراجيديا الموت في روايات غبريال غرسيا مركيز

بقلم : حسونة المصباحي

الادب الاميركى اللاتينى أصبح يحظى باهتمام عالمى وخاصة فى الفترة الاخيرة . من العشرينات وحتى الستينات كان هناك استرياس وبورخس وبابلو نيرودا . وبعد ذلك ظهر خوليو كورتزار واكتافيو باث وغابريال غارسيا ماركيز وفارغاس لولوزا وكاردبانتى وكارلوس فيونتاس . وهناك اسماء كثيرة بدأت تبرز فى السنوات الاخيرة فى جميع مجالات الفن .

أميركا اللاتينية قريبة من أوروبا والغرب بصفة عامة.. لانها تنتمى الى العالم الاسبانى ولكنها مع ذلك تبدو بعيدة عن الغرب وعن أوروبا بل وأحيانا معادية لهما . فقد واجهت مثل بقية مناطق العالم الثالث (آسيا ــ افريقيا ــ الوطن العربى) الاستعمار والعنصرية والمسخ الثقافى والحضارى وارتكبت فيها العديد من الجرائم البشعة ضد الحريات والديمقراطية وحكمتها أنظمة عسكرية ودكتاتورية . وهى الآن قارة من أشد القارات فى العالم توترا ..

وهناك كفاح مسلح فى السلفادور والغواتيمالا وبوليفيا .. وهناك انتفاضات سخية كبيرة فى عدة بلدان أخرى .. وبالامس كانت ثورة كوبا .. وكان شى غيفارا .. وكانت ثورة النيكرغوا .. ونظام اللندى الاشتراكى ، وأمريكا تهيىء نفسها لكل هذه التوترات وهى مستعدة لان تضرب بقوة فى حالة ما اذا تعرض « الامن الاميركى » لخطر ما .. وقد ولدت هذه الحالة ادبا كبيرا ، عبر عن هذه الازمات بشكل رائع . وفى كل بلدان أميركا اللاتينية كتابات شعرية ونقدية وروائية تدين هذه الاوضاع ، وتهيىء ما يسميه الشاعر الاميركى اللاتينى اديسون سيمونس بـ « النور السياسى » .. أى ذلك الوعى الذى تكتسبه

الشعوب دونما ضغوط ايديلوجية أو عقائدية . ووحدهـا تواجـه مصيرهـا وتضع مستقبلها الجديد مثلما يكتب الشاعر قصيدة أو يرسم الرسام لوحة .

الكاتب فى أمريكا اللاتينية مسؤول .. مسؤول عن القهر الاجتماعى وعن القمع السياسى ومسؤول أيضا عن اثراء ثقـافة بـلاده وتخليـد عاداتهـا .. وحضاراتها.. ولذا فان الالتزام قضية مفروغ منها. ولا تناقش بنفس الحدة التى تناقش بها فى أوربا الرأسمالية وبلدان أخرى من العالم الثالث .. اما انها ليست قضية ضغط مثلما يحدث ذلك فى البلدان الاشتراكية والشيوعية..انها قضية تتجاوز كل شىء : السياسة .. والاقتصاد .. والمسائل الاجتماعية ، لتصبح القضية الحضارية والثقافية والفنية التى تبشر بميلاد مجتمع جديد ..

يقول فارغاس أولوزا : «الالتزام في أمريكا اللاتينية ليس من احدى مكونات الادب ولا فعلا موازيا له بل هو روحه الحق » . إن أغلب كتاب أمريكا اللاتينية سياسيون .. ومحرضون .. ودعاة ثورة وتغيير . والادب هو السلاح النضالى الوحيد الذى يمكنهم من التغلغل فى مجتمعاتهم والدفاع عن أفكارهم . وأيضا لكشف الحقائق التى تعمل الحكومات الفاشية والعسكرية على اخفائها . وقد بدأ هذا منذ قرون وبالتحديد منذ القرن السادس عشر . فى ذلـك الـوقت ظهر كتاب يصورون أوضاع الفلاحين الهنـود فى الجبـال والاحـراش ، ثم الاستغلال البشع الذى تعرضوا له فى فترة غزو الاسبانيين لقارتهم.ومع قدوم العصور الحديثة ازداد الصراع حدة .. ووجد الكتاب والفنانون أنفسهم أمـام أوضاع فظيعة وكان من واجبهم التعرض لها فى كتاباتهم .

فالفنزويلى سالفادور ڤارماندیا صور فى قصصه القصيرة الرعب الذى يملأ شوارع كاراكاس وخيبات آمال الطبقات المتوسطة .

وخوان رولفو فى روايته الوحيدة بادروبياراما مزج الاحياء بالاموات.. ومن خلالهم تعرض بطريقة رائعة لحياة قرية مكسيكية صغيرة . ملقاة بين الجبال .

واستریاس فى روايته : السيد الرئيس أدان الدكتاتوريين والعسكريين وكل أولئك الذين يستعملون الحكـم لتعـذيب الجمـاهير .. وقتـل احـلام الاطفال .. وزرع الفزع فى القلوب.. ونشر الفساد فى الارض . وفى روايته : بابا الاخضر تحدث عن أولئك المستغلين القادمين من الشمال الامـريكى ..

الذين يغتصبون أراضى المزارعين الفقراء فى غواتيمالا .. ويحولونها الى مزارع كبيرة لانتاج الموز ..

اما نيرودا فقد تغنى بالحرية .. وبأرض الشيلى وبتجارها وفلاحيها .. ويوم اقترف العسكريون جريمتهم الشنعاء .. مات كمدا ..

غير ان ما يميز كتابات أدباء أمريكا اللاتينية رغم التزامهم بقضايا بلدانهم هو الابتعاد الكامل عن ما يسمى بالواقعية الاشتراكية .. أو الواقعية السطحية .. انهم واقعيون .. ولكنهم راسخو الجذور فى الاساطير .. والسحر.. ويفسر اكتافيوباث ذلك بقوله : « لم يكن لنا أبدا ما يدعى بالقرن الثامن عشر . ولا نستطيع أبدا مقارنة فيخو او خيوفيلا نوس (أبرز ممثلى حركة الانفتاح الفكرى فى اسبانيا) بهوم ولوك وديدورو وروسو . وهنا تكمن الفجوة السحيقة . فبحلول العصر الحديث تبدأ عندنا العزلة » . وربما لهذا السبب لم تحدث فى آداب أمريكا اللاتينية تلك القطيعة بين الشاعر والعقل كما نجد ذلك فى آداب أوربا والغرب بصفة عامة . ان هذا التأخر فى الوعى كما يقول أحد النقاد الكبار: وان جلب مضار سياسية واجتماعية ملموسة كانت له ثمار أدبية غنية أعطت فى اسبانيا أولا فى بداية هذا القرن زخما لشعر جيل عام ثمان وتسعين وجيل عام سبع وعشرين وكذلك فى أمريكا اللاتينية حيث نشأ الى جانب شعر مهم أدب متعدد الجوانب فى نهاية الاربعينات من هذا القرن ..

وأهم شيء عرفته الرواية فى بداية هذا القرن هى « الواقعية السحرية » . وهذا الاتجاه الادبى استفاد كثيرا من السريالية الفرنسية . ولكن عناصره الجوهرية كانت موجودة فى تاريخ الهنود والزنوج الذين سكنوا القارة فى القديم .. وهذه الواقعية السحرية كانت نوعا من القطيعة مع تكنيك كتابة الرواية فى الغرب .. فالروائيون الانيميون الامريكيون وان استفادوا من بلزاك وزولا ودستويفيسكى وجويس وبروست فانهم عادوا الى تراثهم يبحثون فيه عن الاصول الحقيقية لكتابة الرواية .

غبريال غارسيا ماركيز من الجيل الثالث فى الادب الامريكى اللاتينى . هذا الجيل الذى يضم فوليو لورتزار واكتاڤيوباث وكارلوس وفارغاس لولوزا .
وهو الآن من أعظم كتاب العالم وأكثرهم شهرة .. وأشدهم دفاعا عن قضايا العدل والحرية فى قارته وفى العالم أجمع .. الى حد انه اعلن الاضراب عن

الكتابة بعد استلام العسكريين الحكم فى شيلى . وقد ولد سنة 1928 فى قرية اراكاتاكا الكولمبية الاستوائية .. القريبة من البحر الكاريبى . وهذه القرية التى ظلت المنبع الاساسى لكل ما كتبه بعد ذلك، «هى قرية سراياته».كانت فى الليل مخبأ لسفن المهربين وفى أشعة النهار الساطعة خليجا صحراويا عديم الجدوى يشبه بحرا مجدبا .. تائها » . وكان البيت الذى ولد فيه « يقع قرب أزقة بائسة ملتهبة ، ينتحر فيها الماعز من الوحشة حين تهب ريح التعاسة ». وحين ولد غارسيا ماركيز كانت قريته قد أصيبت بالفقر . وقد عـاش فى رعاية جديه . وهو يصور فى احدى قصصه البدايات الاولى لطفولته قائـلا : « كان جداى يملكان بيتا كبيرا مملوءا بالعجائب ويؤمنان بالقدر ويتمتعـان بخيال خصب . كانت كل زاوية فى البيت تزدحم بالموتى والذكريات . وكان ينتشر فى البيت بعد السادسة مساء جو غريب . كان عالما سحريا من الخوف المنطلق السراح وعلى المرء أن يتحدث بسرية لكى لا يزعج الاشباح » . ويبدو أن طفولته أثرت فيه الى حد بعيد حتى أنه قال مرة لصديقه فارغاس لولوزا : « ان كل ما كتبته عرفته أو سمعته قبل أن أبلغ سن الثامنة . ومنذ ذلك العهد لم أشاهد شيئا مهما » . وهو يضيف فى حديث آخر : « لا يوجد فى كتبى أى سطر لايستند الى حدث واقعى . ان أسرتى وأصدقائى القدماء يعرفون ذلك جيدا . ان الناس يقولون لى : تحدث لك أمور لا تحدث لسواك . وانا اعتقد انها تحدث لكل واحد . غير أن الناس لا يتحسسون بصورة كافية لمعرفتها أو ليسوا على استعداد لاستيعابها » .

وقد كان جد ماركيز عقيدا فى صف الليبيرالين ضد المحافظين عند قيام الحرب الاهلية التى استمرت ألف يوم أى من سنـة 1899 الى سنـة 1903 . وقرية اراكاتاكا كانت مركزا لليبيراليين ..

وفى بداية القرن عرفت ازدهارا اقتصاديا كبيـرا سمى « بأيـام الـذهب الاخضر » أى الموز .. وانطلاقا من سنة 20 حل بهـا البـؤس .. والاضطراب الاجتماعى ..

ومن ذكريات غارسيا ماركيز انه كان يسير فى المدينة ممسكا بكف جده فى طريقهما الى سيرك متجول . وقد اعتاد الجد ان يقرأ على الطفل مـواضيع من الانسكلوبيدية ومن قصص « ألف ليلة وليلة » .. وهما أهم كتابين عرفهما الكاتب فى طفولته .. وكان لهما أكبر التأثير على كل ما كتبه بعد ذلك . وكان

الجد يحكي لابنه الصغير حكايات الحرب الاهلية .. وكانت جدته توقظه في النوم لتقص عليه حكايات جميلة وتحدثه عن أقربائه الاموات حتى ان الغرف الكثيرة في البيت الكبير كانت تلوح له مليئة بالارواح وقد قال غابريال غارسيا ماركيز مرة واصفا تأثير جديه عليه : « تحتم علي أن أكتب القصة بالبساطة التي تحدث لي بها جداي في لهجة غير مضطربة وباطمئنان مرح ازاء الاحداث ، أسوة بلهجة جدي اللذين لازمتهما حتى عندما كان العالم حولهما يهدد بالانهيار ودون ان يرتابا أبدا بما تحدثا به سواء كان ذلك غير ذي أهمية أم كان قاسيا . وكان هذان العجوزان قد أدركا بان ما من شيء مقنع في الادب سوى الاقتناع » .

وفي شبابه .. تمرد ماركيز على الجامعة . وفضل المغامرة .. مثله في ذلك مثل فولكنر .. وهنري ميللر . وقد اصبح صحافيا متجولا .. وكتب تحقيقات كثيرة في الصحف الامريكية اللاتينية .. ثم عمل مراسلا من باريس .. وبعد ذلك عاش حياة بائسة .. وسكن في غرفة ضيقة .. وتسكع في الشوارع رث الهندام .. فارغ الجيب . وفي تلك الفترة درس جيدا أدب اماديس دي غاولا وديغو ورابلي وبلزاك وهمنغوي وفولكنر وفرجينيا وولف وكامو وجميع الكتاب الذين أثروا في أعماله . وكانت سنوات الاضطراب والتسكع حافلة بكثير من التجارب .. والتأملات ولما أقام في مكسيكو أحس فجأة انه باستطاعته البدء في تنفيذ ما كان وعد به نفسه منذ زمن الا وهو كتابة تلك الرواية التي ظلت تكمن داخله سبعة عشر عاما .

ويروي فارغواس لولوزا انه سافر مع غابريال غارسيا ماركيز احد ايام نوفمبر 1965 مع أسرته في سيارة من مدينة مكسيكو الى اكابولكو وفجأة أحس ماركيز بانفجار في داخله وصرح : « كل شيء كان واضحا . بالامكان أن أملي الفصل الاول هناك في نفس الموقع كلمة تلو كلمة » . ثم حول اتجاه السيارة عائدا الى مكسيكو .. وبعد ذلك قضى ثمانية عشر شهرا منعزلا في مكان ما .. حتى استطاع انهاء مائة سنة من العزلة .

وقبل أن يبدأ في كتابة هذه الرواية الضخمة كان غابريال ماركيز قد الف عدة قصص وروايات هي « عاصفة من الورق » سنة 1955 و « لا رسالة الى العقيد » سنة 1958 و « الساعة الشريرة » سنة 1951 ومجموعة قصيرة : « دفن الجدة الكبيرة » سنة 1962 .

وفي كل هذه القصص والروايات كان يتردد اسم هاكانـدو .. واسمـاء شخصيات عديدة نجدها بعد ذلك في رواية « مائة سنة في العزلة » .

ولقد كانت هذه الكتابات الاولى بمثـابة التـدرب على كتـابة الـرواية الاصلية والاستعداد لها .. كما انها كشفت عن موهبة غابريال غارسيا ماركيز وكشفت عن سعة خياله .. وعن تمكنه من التكنيك القصصي والروائي ..

ويقول الناقد الاستير رايد في مقال بعنوان : « بيوض الثعبان المجنح » متحدثا عن شخصيات الرواية : « إن مصير أسرة بوينديا العزلة والانفـراد ولكن تعاملهما مع هذا المصير هو انسانية الى أقصى حد . فالرجال متعصبون مثل بروميثوس بشجاعة متزايدة . والنساء شديدات مرتبطات بالارض . وكل شيء محبوك بطاقة وافرة المسرح . كل منهم يتولى المسؤولية كاملة ازاء نفسه غريبة الاطوار . ان سكان ماكاندو لا يعرفون ما وراء حـدود عـالمهم الخاص بهم تلك المعرفة التي تحتم عليهم أن يتمسكوا بها . انهم لا يعلمـون سوى ما يشاهدونه ويدركونه فيعتادون على مصيرهم وفنـائهم . لقـد كان غارسيا ماركيز مولعا بما هو أصيل . كما هو مولع بالشدة التي يجد فيهـا مادة أسلوبه القصصي المناسب . وكلاهما يرتبط بشكل لا انفصـام لـه في كتاب يتحول فيه العالم الى رواية » .

(يتبـع)

حسـونه المصبـاحي

ننشـــر مستقبـــلا

الوعي القومي والديني عند الشعراء الجزائريين المهاجرين الى تونس

بقلـم : د. محمـد صالـح الجـابري

مَطَرٌ يَحفِرُ وَجهِي
جارَتِي شُرْفَتُهَا مُغْلَقَةٌ
كُلّ جِوَارٍ مُغلَقٍ
كُلّ صِرَاطٍ لاَ يُؤَدّي
مَطَرٌ يَحفِرُ رُوحِي
لَيلَتِي مَوفُورَةٌ النَّحسِ وَنَفسِي
خَيمَةٌ فِي جَمرَةٍ .. لاَ الحُبّ حب
لاَ غِيَابِي يَخدِشُ الأرضَ ، وَلاَ الصَرخَةُ تجدِي

★ ★ ★

مَطَرٌ يَحفِرُنِي
بَلّلَنِي الحُزْن دَمِي بَللَهُ العِشق
وَسِرب الشَّجَرِ المُبتَلَ بِالظُلمَةِ يَبكِينِي .. وَيُبكِينِي
وَمَا بَينَ انتِحَارٍ وَانتِحَارٍ كُنْت وَحدِي .
مَطَرٌ يَحفِر شُبَّاكًا

★ ★ ★

وَمِنْ ذَاكِرَتِي تُومِض أُنثَى البَرقِ .. هَلْ تَسمَعُ نَبضِي ؟
يَرسُمُ الحُلمَ عَلَى ضِحكَتِهَا الخَضرَاءِ
مَا أَجمَلَهَا حِينَ تُنَادِي وَلاَ أدرِكُهَا !
وَالحُبّ حُبّ
وَحُضُورِي يَعزِفُ الأرضَ .. وَلاَ أخضَرَ بَعدِي .

التداخل الدلالي بين الرومنتكية والوطنية في شعر الشابي

بقلم : كمال عمران

ـ 3 ـ (*)

واتسم موقف الشعب من الشابى ، فى خيال الشاعر وفى نتيجة تفاعله مع مجتمعه ، بالحركة والفعل . وقد ردد الصيغ الفعلية المعبرة عن السلوك المادى الضيق فاستبانت الحدود ثانية فى تفكير الشعب وفى انفعالاته . الا ان تشنج المجموعة يقابل الم الشاعر . فالطرف الاول يتصرف بمقتضى النفس الغضبية الحيوانية والطرف الثانى يتجذر فى المدار العاطفى القبلى وقد تجاوز النفس الناطقة اليه . ولا عجب ان يتضارب الطرفان وان تتهاوى العلاقة الى القطيعة . والطريف ان الشعب فى هذا الاطار راى الشاعر فى مراة نفسه فنفى عنه العقل والتوازن من ناحية واعتبره ساحرا كافرا من ناحية ثانية . اما الصفة الاولى فتدعم التباين فى طريقة التفكير وفى العقلية ذاتها ، واما الصفة الثانية فتذكر باللون الشعرى الجديد الذى به آمن الشابى ومارس فبدا ساحرا وكافرا وقد نقل الشابى جملة من الاتهامات التى كان يكيلها عدد من التقليديين له .

وخصص الشاعر قسما من ديوانه تخلل ذينك الموقفين السالفين وانفجرت فيه نفسه لوعة وامتعاضا . وهو يقيس ما فى باطنه من عوالم جميلة شادها الى مالقيه من الشعب من معاداة ونفور . اعتمدت جنة نفسه على نمط جديد من السلوك ومن التساوى . فتبنت الثورة على الجور ودعت الى الحياة الحقيقية ورفعت الازهار الجميلة واستمسكت برحيق الوجود المسكر . وهى دعامة شخصية الشاعر الفذة المتعالية ومكوناتها الاحساس المرهف والحكمة المتبصرة والنبوة الصادقة . فاذا النفس الحية وعاء لشخصية جموحة القياد . ينسجان

(*) انظر « الفكر » ع 4 ـ س : 30 ـ جانفى 1985 .

عالما حالما يوازى العالم المادى الاجتماعى . ولكن اللحمة بين الطرفيـن لم تكـن لتنمو او تشتد لو لم ترتم فى احضان الطبيعة . فوجدت فى حياة الغاب نشوة الانفراد والاستعاضة عن لغو الناس بالاندماج الكلى فى الطبيعة والالتحـام مع عناصرها فهى الملجا الوحيد حيث يجد الحياة ويرجو الموت .

لقد تردد تعرض الشابى الى الشعب بين المفاهيم العامة والمعانى الخاصـة ، وبين الحث على رفع المستوى الذهنى والحض على المقاومـة ورفض الاستكانـة والخضوع للمستعمر . ولكن الموقف الحقيقى يتجلى فى القسم الثالث ولا يتوارى الحب والرحمة وراء الغضب والاتهام .. فطبيعى ان يحس الشابى فى اعماقه بالعطف على الشعب وان يقسو فى شعره بل ان القسوة ذاتها تنطق عن الحب الدفين . لذلك راينا من المنطق ان نميز بين علاقة الشابى بالحياة الاجتماعية وموقفه من الشعب . فالجانب الاول كما اسلفنا ، يندرج فى نطـاق التفكيـر الرومنتيكى العام وهو يعتبر المجتمع مؤسسة تدفع الى تدهور القيم الانسانية الاصيلة ، فهو موقف فكرى مذهبى يعتبر المجتمع عامة هيكل افساد للانسان . والجانب الثانى يتصل بالوضع التونسى المخصوص وقد ابرزنا ان الشابى لم يجانب مخالطة مجتمعه ولم يستنكف عن معاشرة الشعب فاذا الصلة بين الطرفين تقوم على الاساس العاطفى المحض وتستند الى ارتساخ قدم الشاعر فى التجربة الاجتماعية . فاذا كانت فكرة المجتمع المؤسسة مرفوضة لدى الشاعر ، فان الاحتكاك مع الانسان ضرورة عنده ، والارتفاع بالشعب الى القيم الفاضلة مسؤولية عزيزة . ويحق ان نتساءل فى هذا السياق عن معنى الوطنية كما يتوفر فى الديوان ؟

ما هى النزعة التى اختار الشابى للتعبير عن وطنيته ، وما هى مياسم هذه النزعة وقد ابرزنا انها تختلف جوهريا عن الخط الـذى اتبعه معاصروه مـن الشعـراء ؟

يبدو ايمان الشابى بالشعب وبالقوة الخامدة فيه ، مطية فى الديوان للاشارة الى الغد الافضل وانتظار امل يقينى . وقد ردد الناس معه دائما ، انشودة الحياة وارادتهـا :

اذا الشعـب يومـا اراد الحيـاة فـلا بـد ان يستجيـب القـدر
ولا بـد لليـل ان ينجلـي ولا بـد للقيـد ان ينكسـر

ولكن الشرط الذي وضعه الشاعر لتحقيق هذه الارادة لا يستقيم مع النضال ضد المستعمر فحسب ، هذا النضال بديهى ولكنه لا يتصل بلب القضية التى

بسط الشاعر الا فى جانب زهيد منها . المسالة بالنسبة الى الشابى اشكال يؤدى تجاوزه الى الانعتاق من الاعراض وتحقيق الجوهر . فالدلالة الاولى للوطنية فى نظره مرتبطة حتما بفهم الحياة،ووضع هذا المفهوم فىالاطار الذهنى خطير فى نظرنا لان المعركة الاساسية كما تلوح فى اغانى الحياة انما تنزل فى المستوى العقلى أولا وفى المستوى الوجدانى ثانيا . فسبيل تحرير الشعب ، واستجابة القدر له تنحصر بداية فى غائية معرفية . وهى تقوم على تصوير نمطمن الحياة جديد به يقنع الشاعر او يحاول ان يقنع بزيف حياة الواقع . ولم تكن طريقة الشابى فى تصوير هذا النمط الجديد تعليمية عقيمة ، بل اعتمدت رسم خطوطها وبث الروح فيها حتى تصبح نموذجا ناطقا . فهو قد وضع الشعب بين وضعيتين . وضعية الحياة الحقيرة ، ووضعية الحياة الباسمة ومتى كانت الهمة متيقظة كان الشوق الى الحياة اصدق .

فويل لمن لم تشقه الحياة من صفعة العدم المنتصر
كذلك قالت لى الكائنات وحدثنى روحها المستتر

لقد نحت الشابى ملامح هذه الحياة الجديدة من الطبيعة ، ومحاورته عناصرها اوحت له بماهيتها فنجده يلتجىء الى الريح والى الجبال والى الارض والدجى والى الربيع يستلهم معنى لتلك الحياة التى اقترح . ثم اورى الى خصائصها :

وشف الدجى عن جمال عميق ، يشب الخيال ، ويذكى الفكر
ومد على الكون سحر غريب ، يصرفه ساحر مقتدر
وضاءت شموع النجوم الوضاء ، وضاع البخور ، بخور الزهر
ورفرف روح ، غريب الجمال باجنحة من ضياء القمر
ورن نشيد الحياة المقدس ، فى هيكل حالم ، قد سحر
واعلن فى الكون : ان الطموح لهيب الحياة ، وروح الظفر
اذا طمحت للحياة النفوس ، فلا بد ان يستجيب القدر !

قرن الشابى معنى الوطنية بالدعوة الى الانعتاق عن اصفاد التقليد والعقلية الساذجة والامتثالية المكبلة ، والى السعى الى بناء حياة عميقة وجميلة فى باطن النفس فى درجة اولى وفى المجال المادى فى درجة ثانية . ولا تشيد هذه الحياة على الوهم ، اذ هى متوفرة فى الانسان بالقوة ، ومنتشرة فى الوجود على الشكل نفسه ، ولا تتطلب الا تحويل القوة الى الفعل بالرياضة والمران وبتزكية الذهن

و « غسل الادمغة » . ومهمة الشاعر ان يعين على ذلك التحويل وان يقنع بانه ضروري . وان خرج تعبير الشابي عن هذا المفهوم في لبوس الحماس والمبالغة والتردد بين التجني والتحني فليؤكد ان الوطنية الحق هي التسامي والتعاظم والعودة الى الفطرة . وقد آمن ان الوطنية بهذا المعنى تيسر بناء عالم اجتماعي جديد طاهر . ولعلنا ندرك درجة الالم العتية التي هزت الشاعر في ديوانه وجعلته يناضل من اجل وطنيته ودفعته في حالات عديدة الى الشعور بالقهر والاحساس بالغربة . وهو لا يفتا يشير الى تذبذب بين عالم الشقاء وعالم الامل . او بين وطن ارض النجاسة والدعارة والحماقة ، ووطن سماء الجمال والفن والعيشة اللذيذة . وقد عبر عن هذا المعنى باشكال مختلفة ولكنها تتآزر لتنطق عن التمزق النفسي .

شردت عن وطني السماوي الذي ما كان يوما واجما ، مغموما
شردت عن وطني الجميل .. انا الشقي فعشت مشطور الفؤاد يتيما
في غربة روحية ، ملعونة اشواقها تقضي ، عطاشى ، هيما ..

ان حيز دلالة الوطنية في شعر الشابي ثري يستمد خصوبته من تلك العلاقة ذات الاوجه المتعددة بين الشاعر والشعب وقد تدرج في نسج وحدات ذلك الحقل من القيم العامة الى النضال والمقاومة الانيين الى البحث عن خلاص اكيد بالعروج الى حياة جوهرية تطهر فيها النفس وتزكى فيها العقول . وما الحرص على هذا العروج الا سبيل في نظره الى التاصل والتحرر فالمعادلة واضحة في ذهن الشاعر . طرفها الاول وهو الاساسي ، ايمان ، بحياة الفن والجمال او العمل على تحقيق القيم الفطرية ، وطرفها الثاني وهو نتيجة بديهية ، التخلص من الاستعمار ومن كل الوان العسف والاستبداد . وفي هذه المعادلة يكمن اختيار الشاعر . لقد كان عارفا باحوال شعبه مطلعا على ما يدور في الساحة الاجتماعية والسياسية من قضايا ولكنه رغب عن مجاراتها وطمح الى التسامي بالشعب الى كنه الوجود .

ولم يكن الشعب سخيفا ، طفلا صغيرا في واقع الاحداث الا في ذهن الشاعر وبالقياس الى طموحه . واستعراض ابرز الوقائع في عصر الشابي يؤكد هذه النتيجة .

لم تكن السنوات الاولى من فجر القرن العشرين سنوات نضال بل اقتصرت خلالها النخبة المثقفة من المصلحين على النشاط الفكري والاجتماعي دون

السياسي (46) . على ان صدا المنحى ولد بتعاقب السنوات جيلا كثرت فيه العناصر المتحررة والمتطورة . ويتسنى ان نعتبر سنة 1906 بداية الوعي السياسي عند هؤلاء المصلحين (47) وقد اكتمل باصدار جريدة «التونسي» (48) وإن بقيت السنوات الفاصلة بين 1885 ـ 1909 عجافا لم تلح فيها مظاهر الانتفاضة على المستعمر والغضب على الاوضاع السائدة، فان سنة 1910، وسن الشابي لم تتجاوز السنة والواحدة ، شهدت بداية الوثبة الشعبية ، وقد كانت وليدة التلقائية ورهينة سؤ تصرف الادارة الفرنسية ومن هذه الاحداث :

1 ـ اضراب طلبة جامع الزيتونة وقد بلغ عددهم 800 طالبا ، وقد طالبوا باصلاح التعليم (48) .

2 ـ 30 أكتوبر 1910 مظاهرة ضد قرار التجنيس .

3 ـ 29 سبتمبر 1911 هجوم إيطاليا ضد السلطنة العثمانية لبسط نفوذها على ليبيا وسخط التونسيين على هذا الاعتداء تجلى بقلم عبد العزيز الثعالبي .

4 ـ 7 نوفمبر 1911 حادثة الزلاج وهي اول صدام عنيف بين سكان تونس العاصمة والسلطة الاستعمارية (49) .

5 ـ حادثة الترامو وهي تعبر عن غضب سكان الحاضرة . ففي يوم 8 فيفري 1912 قتل طفل تونسي اثر حادث قطار كان يقوده ايطالي ، فتحمس

(46) Mohamed Salah LEJRI : Evolution du Mouvement National des Origines à la deuxième guerre Mondiale V1 p. 121 MTE Tunis 1974

(47) انظر : Chedly KHAIRALLAH : Le Mouvement Jeune Tunisien Etablissements BONICI, TUNIS (SD)

(48) «... L'œuvre de progrès entreprise par la France en Tunisie commence à porter ses fruits. Une génération nouvelle, instruite dans la langue française et fortement imprégnée dés idées généreuses dont elle est le véhicule, se trouve aujourd'hui en état de prendre en place dans la rénovation qui s'y accomplit... l'absence de toute organisation constitutionnelle et politique a jusqu'ici privé les indigènes de toute représentation auprès des pouvoirs publics. Ils ne possèdent aucun corps constitué ayant pour mission de faire connaître leurs besoins et leurs aspirations. Le Tunisien « sera leur porte parole en attendant que le libéralisme du Gouvernement français leur donne le droit de faire entendre leur voix au sein d'un conseil élu. « Le Tunisien, 7 Février 1907. » Notre programme «. Ali BACH-HAMBA ».

(49) Mohamed Salah LEJRI - op. cit p. 138 - 144.

التونسيون وهجمة الايطاليين على تركيا ترن فى ذاكرتهم ، لمقاطعة القطار وللاضراب عن مخازن الايطاليين (50) .

6 ـ بين سنة 1915 ـ 1916 تجسم التمرد فى قبائل الجنوب التونسى (51) .

7 ـ ولادة « الحزب التونسى » فى سنة 1919 برئاسة عبد العزيز الثعالبى ، احمد الصافى ، حسن قلاتى . وظهور « تونس الشهيدة » فى نوفمبر 1919 .

8 ـ فى غرة فيفرى 1820 اجتمع عدد كبير من اعضاء الحزب التونسى من بينهم حسن القلاتى ، طيب الجميل ، احمد السقا ، الشاذلى بودربالة ، عبد الرحمن اللزام ، حمودة المستيرى ، الطاهر بن عمار ، الصادق الزمرلى . وتعدد الاجتماعات ليتولد الحزب الحر الدستورى التونسى ليعوض الحزب التونسى . وقد انطلق هذا الحزب فى نضال سياسى ثرى :

9 ـ ارسل الحزب وفودا الى باريس لمناقشة قضية الاحباس (6 جوان 1920) وسافر وفد آخر بقيادة الطاهر بن عمار لاقناع لوسيان سانت بالاصغاء الى مطالب التونسيين قبل ان يباشر مهام المقيم العام الجديد .

10 ـ ظهور حركة محمد على الحامى وميلاد النقابة التونسية G.G.T.T يوم 3 ديسمبر 1924 وقد ناضلت النقابة نضالا صادقا وعملت على ضمان حقوق العمال التونسيين .

11 ـ ظهور حركة وطنية ذات نفس راديكالى انطلاقا من سنة 1930 (52) . وقد مهد لها نشر « اللواء التونسى » l'Elendard Tunisien للشاذلى خير الله ، ومن ابرز المساهمين فى التحرير الحبيب بورقيبة (53) .

12 ـ المؤتمر الافخرستى ورد فعل التونسيين : ماى 1930 (54) .

13 ـ احتدام الانتفاضة الشعبية فى سنة 1931 بمناسبة الاحتفال بخمسينية الحماية الفرنسية (55) .

---

(50) Ali MAHJOUBI : Les Origines du Mouvement National en Tunisie 1904 - 1934 - Publications de l'Université de Tunis Faculté des Lettres 1982 - P. 129.

(51) نفسه صص 134 ـ 138 .

(52) Mohamed Salah LEJRI : op. cit. p. 157.

(53) Ali MAHJOUBI op. cit. p. 461.

(54) Mohamed Salah LEJRI cit. volume II. p. 15.

(55) Ali MAHJOUBI op. cit. p. 466 - 479.

14 ــ قضية التجنس (56) واستغلال الوطنيين الوازع الديني لاشعال نـار الغضب الشعبي ــ حادثة دفن السيدة القبايلي يوم 1 ماي 1933 .

15 ــ ميلاد الحزب الدستوري الجديد : مؤتمر قصر هـلال 3 جانفي 1934 والملاحظ ان هذه الاحداث لم تبق شغل النخبة الشاغل بل كان للشعـب مـنذ بداية الوعي السياسي دور في اشعال الانتفاضة بكل تلقائية وبداية كل ثورة انما هي التلقائية . كما يجدر ان نلاحظ كما سبق للدارسين المختصين ان اكدوا ذلك ، ان النضال السياسي في المستوى القيادي خرج من ايدي البرجوازيين الى الطبقة المتوسطة ودعمتها حركة العمال فاتخذت ابعادا شعبية مهمة . كما نلاحظ التطور الذي حصل في المستوى الفكري فلم يبق جامع الزيتونة يحتكر الجانب التعليمي والثقافي بل ولدت الصادقية منذ نشاتها سنة 1874 جيلا مثقفا ثقافة مزدوجة الى جانب خريجي معهد كارنو من التونسيين وقد افضى اندفاق هذه النخبة الى احتدام المعارك بين القديم والحديث سواء فكريا أو سياسيا أو عقائديا والغذاء الاساسي لهذه الحياة الملتهبة كان الصحافة (57) فهو الوعاء الذي يمكن الرجوع اليه لفهم عمق الوعي القومي على عهد الشابي. بل اننا نزعم ان تلك الفترة التاريخية كانت الارضية الخصبة التي ولدت نشاطا ادبيا وسياسيا ذا بـال .

ولن ندرك سخط الشابي حينئذ على الشعب الا بالقياس الى نفسيته الحساسة وقد تبالغ في الالم عند المصادمة او الاتهام ، وبالقياس خاصة الى المبدأ الفكري الذي دعا اليه . لا يرى الشابي في النضال السياسي او التمرد الشعبي حـلا جذريا للقضية التونسية ، فذلك ضروري في الظرف الاني فحسب ، بل محور المسالة عملية غسل للادمغة ودعوة الى الحياة الفطرية وهي المنطلق الوحيد في نظره للتحرر الصادق . فكلما تطهرت النفس البشرية ، تحررت مـن القيود وعرفت ان سر الوجود يقظة حس . انه الاختيار الخطير بين طلب العاجل او السعي الى الاجل . بين مواكبة الحدث السياسي والتعبير عنه كما فعـل جل معاصريه أو الاغضاء عن الحادث والزائل والحرص على الجوهر وعلى الاصل .

وما اندفاع الشابي الى المعنى الثاني الا وليد ايمانه بالرومنتيكيـة ، فهي التي زينت لفكره ولنفسه حياة الفطرة وأوهمته ان النضال تعال عن الواقع المعيش الى الوطن السماوي ، وطن القيم السرمدية.وفي هذا المجال لا تستطيع

---

(56) نفسه ص.ص 479 ــ 486 .

(57) نفسه ص 496 ــ 500 .

البتة ان نفصل الحقل الدلالي الرومنتيكي عن الحقل الدلالي الوطني . بل ان الوطنية لا معنى لها اذا عزلت عن الرومنتيكية بالنسبة اليه . هي الاطار الذي يستوعب النضال والمادة التي تشحن حب الوطن . ولا يخفى ان تونس صورة في نظره للطبيعة الأم الأخاذة . وان التونسي انعكاس للانسان عامة فولج الشاعر بهذا المعنى الغرض البشري واصبح شعره ذا ابعاد ثلاثة متكاملة :

بعد ذاتي عبر من خلاله عن تجربته الخاصة وافصح عن خلجة نفسه وطموح فكره .

وبعد موضوعي ، تعرض الى الشعب باعتبار الترابط العاطفي بغض النظر عن المؤسسة الاجتماعية المستلبة وفيه عائق تحرر شعبه ودعاه الى حياة الطبيعة والجمال والفن .

وبعد انساني هو خلاصة ذينك البعدين السالفين . فاصبح الشابي نموذجا بشريا ينطق عن مشاغل النفس الانسانية واصبح شعبه صورة للمجموعة البشرية يدعوها الشاعر الملهم الى الخير الابدي والى الخلاص الروحي . ومتى اقتنعنا ان وظيفة الشاعر كما آمن بها الشابي ، همس وايحاء ازداد ادراكنا لنوعية اختياره فهو اراد ان يبني وجودا ساميا في شعبه ليتجرد عن الوجود التافه . واراده ان يعي كنه الحياة قبل ان يتحرر من قيود المستعمر .

اذا كانت دلالة الوطنية داخلة في حيز المساحة الرومنتيكية فهل ترسب في السلبية وتبدو تحليقا فوق الواقع وكفرا بالواجب ازاء الوضع السياسي والاجتماعي .

لقد وقف الدارسون من هذه القضية مواقف متباينة وآثرنا ان نذكر بهذه المواقف ثم ننفذ الى الراي الشخصي .

فريق اعتبر ثورة الشابي « تهديمية » لا تسعى الى معالجة الواقع ولا ترمي الى اقتراح بديل يستعيض به الشاعر عن الاوضاع الراكدة في بلده ، وتعليل هذا الرأي يرتكز على نفسية أبي القاسم وارادته التحطيم و «التقويض» (58).

وفريق آخر أكد أن الرومنتيكية أفقدت الشابي صوابهواتزانهالواقعي فاذا به « يستلهم سماء الفن ولا يستلهم ارض البشر » . وتعليل هذا الراي ان

---

(58) انظر اطروحة الاستاذ جعفر ماجد :
La Presse Littéraire en Tunisie 1904-1955. Publications de l'Université de Tunis 1979.

الشاعر اخطا في فهم كنه الحياة وظن ان الحقائق السرمدية كفيلة بان ترفع الشعب الى النجاة فهو قد تاه « برومنتيكية في متاهات الميتافيزيا » (59) .

وفريق ثالث أراد أن يبرر متاهات الشابي في الرومنتيكية فاعتبره شاعرا « لا يملك سوى قلبه » ولا يمكن ان يعد سياسيا « او اداريا » يسعى لقلب النظام او قائدا عسكريا فيشنها ثورة دامية يزحزح تلك الهياكل المتجبرة عن عروشها ليفسح للشعب طريق التحرر والحياة ، حياة انسانية كاملة » (60) .

وفريق رابع اعجب بالشابي فتملكه الانبهار حتى اعتبار الشاعر « احد هؤلاء المكافيين الابطال بل نموذج رفيع منهم » وراى ان المجتمع التونسي كان مريضا في جسده وروحه باليا في تفكيره وارائه مستسلما لاوضاعه الفاسدة استسلام العناصر غير العائلة الى هيئة الايام والليالي .. كما يقول جبران (61) .

جل ان معظم الدارسين اقروا ان الشابي لم يمارس تجربة اجتماعية مادية في شعره فآل الامر ببعضهم الى فهم موقفه ضربا من الهروب والاغراق في ميتافيزيا تنسج معانيها انطلاقا من الرومنتيكية . وآل الامر بالبعض الآخر الى تبرير ذلك الهروب وشذ من راى ان شعره وطني حماسي نضالي خالص .

ونود في هذا العمل ان ننطلق من مظنة تصوره الجوهري لنصوغ موقفا آخر من تجربة الشابي الشعرية .

عرف شارل نوديبه الرومنتيكية فقابل بين اتصالها بالمجتمع واتصال الكلاسيكية وراى انها تسعى الى بناء مجتمع جديد اذ في تيارها تعبير عنه واضح ، ولم تكن الكلاسيكية سوى صورة للمجتمع الراهن (62) .

واستنتج غنيمي هلال في هذا السياق نتيجة خطيرة ادرك من ورائها ان الادب الرومنتيكي « صورة صادقة للاتجاهات الثورية والوطنية » (63) . ولا ضير ان يؤكد ان هذه المدرسة اتاحت في أوربا للانسان الاوربي الحصول على حقوقه « اذ مهدت للثورات وعاصرتها » (64) .

---

(59) الشاذلي القليبي مجلة الندوة عدد 10 سنة 1953 عن دراسات عن الشابي لابي القاسم محمد كرو - ص 11 - دار المغرب العربي 1961 .

(60) توفيق بكار المقال السابق ص 210 .

(61) الهادي العبيدي : ذكرى الشابي : مجلة الاسبوع التونسية (دراسات عن الشابي لابي القاسم محمد كرو ص 81) .

(62) أبو القاسم محمد كرو : الشابي : حياته وشعره ص 33 و ص 79 - الشركة التونسية للتوزيع 1973 .

(63) غنيمي هلال : المرجع السابق .

(64) نفس المرجع .

ليست الرومنتيكية حينئذ عند المؤمنين بها تحليقا فوق أرض البشر وعروجا الى سماء القيم السرمدية، فقد تبدو كذلك وما هي بعزيزة على ابطان جوهر فعال يساوق مفاهيمها ويناغم اهدافها. لم يكن هذا التيار ممارسة ثورية صاخبة، ولكنه لم يعدم المساهمة في دعم الثورات او في التمهيد لها . وليس العالم الطبيعي ذو الجمال والفن والسمو سوى نموذج تحذو حذوه وتريد به ان تمحض الواقع البشري المرير . ولم يخف على الناقدين الفرنسيين دور جون جاك روسو في الاعداد الفكري للثورة الفرنسية حتى ذهب بيار لاسار الى ان الرومنتيكية هي روسو ، وروسو هو عنصر من العناصر البارزة للثورة (65) ، ولا تثريب هنا ان نذكر بدور مدام دي ستال وقد صاغت الشعر الذي يحيا فيه الماضي الوطني ، وبدور لامرتين وهو الرومنتيكي الملتزم السياسي واحد دعامات الثورة الفرنسية . وشان فيكتور هيقو لا يقل عنهما في بناء صرح المجتمع الثوري وفي المناداة بالادب الثوري كذلك. فليست الرومنتيكية كفرا بالمجتمع، بل هي نداء الى استبدال ادرانه بالقيم الفطرية ، هي تاصيل للانسان في انسانيته الظاهرة . في المستوى البشري ، والوطنية هي اعلان الثورة ، ثورة المفاهيم والقيم ، في المستوى الاقليمي . فالوطنية الرومنتيكية هي بناء عالم السمو في واقع البشر ، وهي استدراج الشعب الى معانقة الجمال والفن والحب فان تم ، يسر الانعتاق من قيود الظلم والاستعمار او التخلف والحيف هي الثورة الفكرية الممهدة للثورة المادية ، السياسية والاجتماعية . ولنا في روسو والثورة الفرنسية خير دليل . وفي وجه من الوجوه نقر ان للشابي ، بالنسبة الى الحركة الوطنية التونسية ، دورا مشابها لدور روسو ، ولا فكاك للزعماء السياسيين من نموذج فكري ينضاف الى روح الثورة عندهم والى عقلانية العمل النضالي . وليس ضروريا ان يتضح ذلك الدور . وضوحا تاما ، فهو داخل في مستوى اللاوعي ، وهو منصهر في اللقاح الذي يتبلور بين الزعيم السياسي ومحيطه الشعبي والفكري الثقافي . ولم يخطيء طه حسين حين اعتبر تفكير اخوان الصفا تمهيدا للثورة السياسية وراى انهم ارادوا ان يقلبوا نظام الحكم بقلب نظام العقل (67). وما حرص الشابي على وصف عالم الجمال والفن الا بناء لنظام ذهني جديد وتشييد لتصورات طريفة تقابل الراهن والمرتسخ في حياة

(65) نفسه ص 2 .

(66) Pierre LASSERRE : La Romantisme Français p. 32 - Louis 1919

(67) طه حسين : مقدمة رسائل اخوان الصفا : القاهرة – المكتبة التجارية الكبرى 1347 هـ (1928 م) .

الشعب اليومية . فشعره دعوة الى تحرير النفس البشرية جوهريا ونداء لمعانقة القيم الانسانية الطبيعية ، تلك هي القيم الاصيلة في نظره ، وفيها نجد وجها من وجوه قصة الانسان التونسي زمن الاستعمار (68) . فقد وجد التونسي المستكين ، ووجد التونسي المناضل بفكره وبساعده ، ووجد التونسي الطامح الى بعث الحياة الحقيقية كما يتصورها هو في الشعب ، والشابي حر في ان يتصور هذا البعث ، وعلى ان حركته لم تكن اعتباطية بقدر ما خضعت لارضية فكرية رومنتيكية امتزجت بكبريائه العتية وقدت مناسبة لنفسية متالمة حساسة ولمكونات شخصية تفاعلت مع محيطها على نحو مغاير لكل ادباء مجتمعها . وقد اشرنا ان هذا النمط من التفكير يكون عادة قادحا للثورات ولعل شعر الشابي بما يحمله من مفهوم وطنية مخصوص عنصر من العناصر الفكرية المركبة التي مهدت مع العناصر الموضوعية المادية الاخرى للنضال التونسي الفعلي . وبذلك يصبح الشابي مرحلة حاسمة في الفكر التونسي الحديث ولا يستمد قيمته البتة « لعدم وجود ذكر لشعراء تونس في الشرق العربي .. ولو نخلنا ديوانه لما وقف على قدميه مع اي شاعر من شعراء الدرجة الثانية في البلاد العربية كالعراق وسوريا ومصر » .. (69) وهو رأي ينبني على الارتجال وجهل بالابعاد العميقة التي تحملها أغاني الحياة وهي لعمري أثرى ، على صغر سن صاحبها ، من شعر الزهاوي أو مهدي الجواهري أو عبد المحسن الكاظمي على طول تجربتهم الشعرية وتمتعهم بعمر طويل . بل تتمثل القيمة الحقيقية لهذا الشاعر في فذاذة معانيه الشعرية وفي خصائص معاناته الاجتماعية وفي مياسم حساسيته ومرارة مرضه ، هي فذاذة تبلورت في اغاني الحياة في شكل مغازلة لنمط حياة بشرية فطرية تداخلت فيها الرومنتيكية بالوطنية وزعمنا انها نموذج حي ، قادح للنضال السياسي والاجتماعي هي فذاذة اترعت ــ لا محالة ــ بفردية عميقة ولكنها لم تكن شاذة اذ آمن جيل الشابي بالزعامة الفردية وبانتشال « الكثرة » او « العدد » او « السواد الاعظم » برسالة الفرد المتميز . ذلك منطق جيل ولى وقد كانت له مبررات تفهم في ضوء نسيجها الداخلي ومنه تستمد مصداقيتها وأن كنا، في التصور نكفر بالتميز الفردي ونؤمن بنجاعة المجموعة.

كمال عمران

---

(68) الشاذلي بوحي : أبو القاسم الشابي والشاعرية الحق ــ مجلة الفكر السنة عدد 85 ماي 1960 .

(69) يوسف عز الدين : في الادب العربي الحديث بحوث ومقالات ، ص 95 ، بغداد 1967 .

رَفعُ الحجابِ عَن أقمارِ الظّلمة

شعر: هِشام المحمّدي

أَضْرَمْتُ
حمائم تيهي حالمَةً ،،
ورّقت رمال الغيب على جسدي .. ،،
ألقيت
مصابيحي
قدّام الباب الخلفي ،،
وجبيني
في فخِّ الصّدمَةْ ..
هدّتْني الشمس
مرارًا والظلمَةْ ..
سافرتُ
إلى جسدي ..
وتسللتُ ظلالاً حمراءْ ..
فاحتْ
رائحة المأوَى ..
لون الأشجار

بكى ..
أبصرتُ رمال الزهد مدى عينيك
وحيض الوقت الغابي ،
أبصرتُ ،،
ركام الحلم الملقى ،،
بين يديك
وجليدَ فمي ..
ألقيت مصابيحي ..
وفتحتُ
ضباب النبع على قلبي ،،
ويدي
في حدّ الوهم إلى وهمي ..
فتّشتُ وعاءَ الغيب
بأيامي ،،
لم أعثر عَنْ قاتل صَمْتِي ..
أو مقتول

بين الصاباتِ
ذوى .. ،
في رأس العرّاف بكيتُ
وألصقت الصف إلى عمري ،،
قادتني الحاناتُ
إلى شجر المولى ،، ..
« جنّات تجري من تحتهمُ الأنهار »
إلى غيري .. !
خبّأت مصابيحي ..
هيأتُ مصابيحي
أقفلتُ
رياح الغيب إلى وجعي
دفترت جبيني .. ،
إلى رقّات أخرى ..
ورسمتُ
مخاط الثلج على بدني ..
سافرت إلى وهج التربهْ ..
هدتني الشمس
مرارًا والغربهْ ..
شاهدتُ
زهور الرعب اليانع في صحوي ،،
وخريف الحيف ،،
وشاهدتُ ،، .
في تلّ الأعماق
مدى الخوفِ ،، ..
وأقلعت على وهمي ،، .
أقمارٌ
تستحكي الماضي
وتعاتبني
صورٌ
تنأى ،، ..
ألغام تحتاج إلى سفرٍ ضمني ..
وأنا في حلمي مختبلٌ
وضباب المنفيِّ على جسمي ..
أتلظّى النّار
في شغفٍ ،، ..
وأضمّ الليل إلى وهمي .. ،،
هيأتُ مصابيحي .. ،،
أضنتني مدخنة الأيام
وزهد الصحو العادي
ورسمت بخار الثلج
على بدني .. ،،
لم أعثر ..
عن مأوى ..
أو مجرى ..
عن شمس تعرفني .. ،

هشام المحمدي

مصادر الشعور بالكآبة في ديوان "أغاني الحياة"

بقلم : المنصف الجزار

— 3 — (*)

العامل الثاني : ما كان للشابي أن يشعر بعمق المأساة لولا فرط حساسيته التي تميز بها وتفطن اليها وعبر عنها :

والشقي الشقي من كان مثلي في حساسيتي ورقة نفسي (35)

ورهافة الاحساس جعلت الشاعر يحول الغربة ذات الطابع الاجتماعي الى غربة روحية فعاش شقيا مشردا عن وطنه السماوي :

في غربة روحية ملعونة أشواقها تقضي ، عطاشا ، هيما
يا غربة الروح المفكر ! انه في الناس يحيا، سائما، مسؤوما(36)

العامل الثالث : الموقف من الوجود تولد نتيجة الغربة الروحية التي مكنت الشابي من تقطيع حبائل الآمال فانتبه الى سخافة الدنيا وبعدها عن الطهارة فتاقت نفسه الى سحر الكون للذوبان فيه :

فانا السعيد بانني متحول عن عالم الآثام والبغضاء
لأذوب في فجر الجمال السرمدي وارتوى من منهل الأضواء (37)

وسينسى الشابي في فجر الجمال السرمدي دنيا الناس وينتشي على شواطئ الأزل :

(*) انظر « الفكر » ع : 5 — س : 30 — فيفرى 1985 .
(35) قصيدة : النبي المجهول ٠ جوان 1930 ٠
(36) قصيدة : صوت تائه ٠ اوت 1928 ٠
(37) قصيدة : نشيد الجبار ٠ ديسمبر 1933 ٠

ونسيت دنيا الناس فهي سخافة سكرى من الأوهام والآثام
فوجدت سحر الكون أسمى عنصرا واجل من حزني ومن آلامي
فاهبت مسعور المشاعر ، حالما نشوان بالقلب الكئيب الدامي (38)

فقد تخطى الشاعر ريح الحياة وطيبها لانه اشتم فيها رائحة الاثم والبغضاء فتاقت نفسه الى التسامى نحو عالم الطهارة المفقودة وساعده على ولوج هذا الفضاء الرحب قلب كئيب سكنته فكرة مجهولة صارت عندى معلومة هى تطليق الدنيا العابثة فقد مات عهد النواح ونجمت فكرة الفنان .

هذه عيشة تقدسها نفسي وادعو لمجدها وانادي (39)

تولدت عن هذه العوامل الثلاثة فلسفة واضحة المعالم وفهم لمنزلة الشاعر فى الوجود فعاش الشابى تجربة فذة طبعت أشعاره بلون متميز وصرنا نلمس فى شعره عالما يعيش داخله الشابى وينتشى بالاقامة فى هيكله بعد ان أحرم على مشارف الطبيعة فى مدخل الغـاب :

انى أنا الروح الذى سيظل فى الدنيا غريب
ويعيش مضطلعا بأحزان الشبيبة والمشيب (40)

واذا اتخذت الكآبة بعدا مخصوصا فى شعر الشابى وكانت مركزا أساسيا تجمعت حوله آراء الشاعر ومواقفه فانه من الطبيعى أن تتميز مصطلحات أخرى فى الديوان بمعان جديدة اذ هى فى علاقة عضوية مع الكآبة المركزة ، فكيف أثرت هذه الظاهرة فى الحقل الدلالى لبعض المفاهيم التابعة لقصة الكآبة حسب عرضها فى الديوان ؟.

اتخذ الشابى الكآبة سبيلا بكرا للخروج من الهيكل المتهدم المهجور ودخول وطنه السماوى الذى شرد عنه ، فكون لذاته عالما خاصا يقيم داخله ، وهنا اتخذت بعض الالفاظ بعدا متميزا فى المستوى الدلالى ...

فلم يعد الطفولة مثلا حقبة زمنية معلومة يتجاوزها المرء لبلوغ الرشد بل صارت عنده جنة توفرت فيها عناصر الطهر والبراءة ، فتاقت نفسه اليها من جديد وتغنى بهـا :

---

(38) قصيـدة : الغـاب . جويلية 1934 .
(39) قصيـدة : أحلام شاعر . افريل 1931 .
(40) قصيـدة : نشيد الأسى . اكتوبر 1928 .

ان الطفولة حقبة شعرية بشعورها
ودموعها وسرورها وطموحها وغرورها
لم تمش في دنيا الكآبة والتعاسة والعذاب
فترى على أضوائها ما في الحقيقة من كذاب (41)

فهي عنده مرحلة قريبة من مهجة الكون ، وما التغني بها الا وجه من وجوه التغني بالاقتراب من الوطن السماوي ، فهي مرحلة تقرب الانسان من تجربة ما قبل الولادة لينتشي بالذوبان في الكون :

ثانيا السعيد بانني متحول عن عالم الآثام والبغضاء
لأذوب في فجر الجمال السرمدي وارتوي من منهل الأضواء (42)

لقد صارت السعادة تتمثل في هذا الشوق الطبيعي لتطهير المشاعر في نار الجمال فيتجاوز عوارض الحزن المولد للكآبة :

فوجدت سحر الكون أسمى عنصرا واجل من حزني ومن آلامي (43)

أما الموت فلم يعد يخشى باعتباره نهاية بل صار يعد وسيلة الخلاص من **هذه الأرض الدائمة الاثم** ، فتاقت نفسه الى تجربة ما بعد الموت ــ أو على الأصلح ما قبل الحياة ــ أي الى عالم الطهر ومعانقة سحر الكون :

فاصبر على سخط الزمان ، وما تصرفه الشؤون
فلسوف ينقذك المنون ، ويفرح الروح الحزين (44)

واعتمد الشاعر على الخيال ليتجاوز عتبة الحياة الدنيا فينكشف له بعض أسرار الوجود وهنا تلون السند المرجعي عند الشابي بلون متميز فكان **الانصات الى أصوات الطيور ومناجاة الطبيعة والاحرام على مشارف الغاب** والتطهر في نار الجمال والتحليق على تخوم الدنيا . وصبغ ذلك شعر الشابي **بظاهرة انزياح واضحة ساهمت في تأكيد فذاذة الرؤية الشعرية عنده .**

ولم يعد الحلم كذلك هاجسا أو عملية لا واعية لا يتحكم فيها الشاعر وتفرض نفسها عليه بل تحول الى حلم في اليقظة أو يقظة في الحلم تأمل

---

(41) قصيدة : الطفولة . جانفي 1928 .
(42) قصيدة : نشيد الجبار . ديسمبر 1933 .
(43) قصيدة : الغاب . جويلية 1934 .
(44) قصيدة : الذكرى . نوفمبر 1927 .

الشاعر عبره ذاته من الداخل فانتشى بما اختار من عيشه بعيدا عن دولة الانصاب والالقاب . وبعد ان كان الحلم ينعكس على الذات فيساعد على سبر أغوارها صار عند الشابي وسيلة انفتاح على الكون لمعانقة القبر والارتواء من الكون واعتمد تصوير عالم الاحلام على أخيلة جديدة استلهمها الشاعر من حساسيته ومن اثر مطالعاته القديمة والحديثة الشرقية والغربية وانصهر كل ذلك في نفس الشاعر فتلون شعره برؤية مخصوصة تتغنى بمجد الحياة والشوق الى الذوبان في الكون .

ولعبت المرأة دورا هاما في هذا المدار المخصوص باعتبارها رمزا للطهارة والجمال والسحر فاتخذها الشابي وسيلة معراج الى هذا العالم حيث عانق الفجر احلامه ولثم الضياء بضوئه :

وتبثين رقة الأشواق ، والأحلام والشدو والهوى في نشيدي
بعد ان عانقت كآبة أيامي فؤادي ، والجمت تغريدي
فانفخي في مشاعري مرح الدنيا وشدي من عزمي المجهود (45)

ان الشعور بالكآبة ضرورة تجعل الشاعر ينفتح على عالم البهجة والشعور بالانتشاء عندما يطل الصباح الجديد .

وسكن العزم وطن الكآبة فالبسه ثوبا جديدا بعيدا عن البكاء والنحيب وحلق الشاعر يشدو كطائر الجبل بعد ان كانت تمشي على قلبه الحياة :

فنسيت الشقاء والدمع واليا س ونامت بمهجتي الحركات
وقضى في سكينتي طائر الحز ن واغفت بصدره الندبات
هكذا يلجم المنون فؤادي وتهب الحقائق الخالدات (46)

هكذا تمكن الشابي بفضل هذا الشعور الحاد بكآبته من اكتشاف أبعاد ذاته فانشأ صورا شعرية تترجم عن ذاته في أعمق أعماقها وتكشف عن وجوه حساسيتها وعزمها وهذا الاكتشاف مكن الشاعر من ان ينشىء لنفسه عالما ، بل مكنه من أن يغلق ذاته في عالم ، وأهم مميزات هذه الذات التخطي والسعي الى معانقة الكون ولمس الجذور الاولى في عالم رحب خطير :

هذا مصيري يا بني الدنيا فما اشقى المصير ! (47)

---

(45) قصيدة : صلوات في هيكل الحب . اكتوبر 1931 .
(46) قصيدة : دموع الالم . جانفي 1928 .
(47) قصيدة : الجنة الضائعة . جانفي 1933 .

* **الكـــآبة والحال الشعرية :**

نجد ضمن رسائل الشابي وثيقة هامة اكد فيها الشاعر قصة ميلاد قصيدة « نشيد الجبـار » يقول : (48) « ... ولكنني على كل حال قد ربحت من تلك الأزمة النفسية التى مرت بى قصيدا هو : نشيد الجبار ..

فانى فى ليلة من ليالى هذه الازمة النفسية المرهقة ... نمت معذب النفس مهموم القلب ثم استيقظت نحو الساعة الواحدة بعد منتصف الليل فلجت بى الآلام وضربت بى فى كل سبيل حتى لقد كاد رأسى ينفجر واحسست انى لابد مشرف على الجنون لو دام بى ذلك الحال الى الصباح . وتطورت نفسى فى غمرة الالم فبعد أن كانت معذبة باكية فى ظلمة احزانها تكاد تجن من الاسى انقلبت ثائرة هائجة واثقة من نفسها ساخرة بالقدر والداء والاعداء ، وكل آلام الحياة وتحت تأثير هذه الحالة النفسية نظمت « نشيد الجبار » فذابت آلام نفسى وشعرت بالحرية والانطلاق كأنما ألقيت على منكبى عبئا ثقيلا يهد القوى » .

يؤكد هذا النص ان الشعور بالكآبة والعذاب والاسى كان يلهم الشاعر قصائده ، حيث لا تكون الكآبة مولدة للضيق والتبرم بل مصدرا من مصادر الالهام ومعراجا الى الحرية والانعتاق ... أى الى الترنم بالشعر ... ولم يكن الشاعر فى نظرى صاحب نزعة مازوشية يتلذذ الألم ولكنه كان كما يبدو من هذه الوثيقة . يروض النفس فتخرج الى الاكتئاب الحافز الى التأمل والصلاة على مشارف الكون فيلهم الشعر الهاما وكان بذلك قول الشعر ضرورة من ضرورات الحياة عنده دربته على ان يكون :

شعـرى نفاثـة صـدرى ان جـاش فيـه شعـورى
لـولاه مـا انجـاب عنـى غيـم الحيـاة الخطيـر (49)

ولعب الشعور بالكـآبة دورا هاما فى التجربة الشعرية عموما فهو معطى وجدانى متصل بالروح واعشار القلب لكنه تحول ـ الى جانب ذلك ـ عند الشابى الى معطى عقلانى ، وصارت الكـآبة مهجة الكون وسره ، فساهم هذا المفهوم فـى تقريب الشقة فـى شعر الشابى بيـن المقومات الوجدانية

---

(48) **من نص رسالة من الشاعر الى صديقه محمد الحليوى بتاريخ** 19 ديسمبر 1933 .

(49) قصيدة : شعرى . جوان 1925 .

والمقومات العقلانية ، فذابت هذه فى تلك لتنصهر فى اطار شعرى فنى فذ :

وعاد للصمت ... يصغى فى كآبته -كالفيلسوف- الى اندنيا ويفتكر(50)

الخاتمة :

اننا لا ندعى ان الشعور بالكآبة شعورا حادا وحده يقف وراء أشعار الشابى ، ولكن نريد أن نؤكد من وراء هذا العمل الدور الكبير الذى أدته هذه الظاهرة فى مشاعر الشابى وفكره فصبغ شعره بسمة مميزة هى سمة الفنان :

بل هو الفن واكتئابه والفنان جم احزانه وهمومه (51)

ان هذا الشعور الخاص وحده ، كفيل بالحاق الشابى بقصة الحداثة فقد فهم ان الشعر معاناة ذاتية واصغاء لصوت الفنان المنسجم مع صوت الكون وهو ما لم يكن يجد له صدى فى بيئته الفكرية والفنية .

ونحن لا نريد كذلك بهذا العمل ان ندعى ان مقومات هذه الرؤية قد انطلقت فى نفس الشابى من العدم وصارت بذلك تميزه عن غيره ، فدون شك تكونت له هذه الرؤية من الوجود والوجود عبر تجربته الخاصة فى الحياة ونتيجة تاثره ببعض مطالعاته الشعرية من المعرى الى جبران الى لامارتين . ولكن على ذلك لا يمكن القول ان تجربته فى ديوانه صورة من تجربة غيره ، فقد صبغ الشابى مختلف العناصر المؤثرة فى تكوين شخصيته ليطوعها الى ابراز شخصيته الفنية فكان الانزياح والتفرد .

لقد تمكن الشابى فى نظرنا نتيجة هذه التجربة الفذة من ترويض الكآبة فخرجت على يده من مدار الالم والشقاء الى مدار السعادة والانتشاء ، ووجد فيها وطنه المفقود الذى صار يألفه وتحول الى جنته الضائعة متحديا تضاحك الدنيا فكآبته كشفت له رحاب الكون وسره المبطن بسحره :

مهما تضاحكت الدنيا فانى ابدا كئيب ... (52)

المنصف الجزار

---

(50) قصيدة : شكوى ضائعة . اوت 1934 .
(51) قصيدة : الساحرة . جويلية 1932 .
(52) قصيدة : نشيد الاسى . اكتوبر 1928 .

ثلاثية الميلاد والتوهج والانطفاء

شعر: البشير المشرقي

① الميلاد :

كُلَّ عَامٍ وَقَلْبِي
يَرَى فِيكِ وَاحَةَ أَحْلَامِهِ ..
أَنْتِ مُلْهِمَةٌ
مِنْ أَقَاصِي الْمَرَافِىءِ جِئْتُ ..
وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَكِ مُنْطَوِيـًا ..
كُنْتُ صَفْصَافَةً فِي الْمَسَارِبِ
تَبْكِي
وَجِئْتِ فَأَتْرَعَتْنِي الْيَاسَمِينُ
بِأَنْفَاسِهِ
رَسَمَتْنِي الدَّوَالِي
عَلَى وَجْهِهَا
صُورَةً لِلْمُنَى
وَدَخَلْتُ رِحَابَكِ مُلْتَحِفـًا
بِالتَّسَابِيحِ

قُلْتُ : الَّتِي أَلْهَمَتْنِي التَّوَغُّلَ
فِي فَيْءِ شَاطِئِهَا الْأُرْجُوَانِي لَا بُدَّ
أَنْ تَتَفَهَّمَ بَوْحِي ..
وَطَوَّقَتْنِي مَرَّةً فَلَمَحْتُ
الْمَحَطَّاتِ تَهْرُبُ مِنِّي ..
إِلَى أَيْنَ أَمْضِي وَكُلُّ الْعُيُونِ
الْمُثِيرَةِ أَنْتِ ..
وَكُلُّ الضَّفَائِرِ فِي بَلَدِي أَنْتِ ..
كُلُّ الْمُحِيطَاتِ أَنْتِ ..
فَمَنْ أَنْتِ ؟
حَتَّى تَفِرَّ النَّوَارِسُ مِنْ طُرُقِي ؟
كُلَّمَا جِئْتُ كَانَ الدُّوَارُ ..
وَكَانَ الْحِصَارُ
وَكَانَ الْبُكَاءُ الْجُنُونِيُّ ..
وَكَانَ التَّفَرُّدُ وَالْإِنْزِوَاءُ عَلَى
شُرْفَةٍ مِنْ عُيُونِكِ ..

أَيَّتُهَا المُتَبَاعِدَةُ اليَوْمَ عَنِّي ..
أَرَى فِيكِ مَمْلَكَةَ الوَطَنِ المُتَوَهِّجِ
طَازِجَةَ الإِخْضِرَارِ ..
أَرَى وَطَنِي يَتَسَلَّقُ ذَاكِرَةَ
العُمْرِ ..
يَسْكُبُ فِي الطُّرُقَاتِ الطَّوِيلَةِ
أَنْفَاسَهُ ..
وَيُغَنِّي ..
فَهَلْ تَهَبِينَ لِقَلْبِي المُنَى ؟
فَيَرَى الشَّمْسَ مُشْرِقَةً
وَالنَّوَافِذَ مَفْتُوحَةً
وَالمَوَاوِيلَ دَافِئَةً ..
فَأَنَا الشَّاعِرُ المُتَفَرِّدُ بِالغَوْصِ
فِيكِ
وَبِالمَوْتِ فِي خَلَوَاتِكِ ..
هَلْ تَهَبِينَ لِقَلْبِي الصَّدَى ؟
فَأَنَا مُتْرَعٌ بِحَدِيثِ السِّنِينَ
الضَّنِينَه
وَهَلْ تَتَصَدَّرُ خَارِطَتِي نَفَحَاتُكِ ؟
فَالرِّيحُ عَاوِيَةٌ
فِي كِيَانِي
وَنَجْوَاكِ مُمْكِنَةٌ ..
وَعُيُونُكِ تَكْفِي .. !

* * *

② التوهج :

كُلَّ عَامٍ وَقَلْبِي تُشَجِّرُهُ
نَظَرَاتُكِ بِالدِّفْءِ ..
تَفْتَحُهُ أُفُقًا رَائِعًا
حَالِمَ الرَّسْمِ .. مُرْتَسِمًا فِي
مَرَايَا التَّذَكُّرِ .. هَا أَنَّنِي
يَا حَبِيبَةُ مُنْفَتِحٌ لِلصَّدَى .
فَادْخُلِينِي وَلَوْ مَرَّةً وَاسْكُبِي
مِنْ رِضَا بِكِ فِي وَاحَةِ القَلْبِ ..
فَالأَرْضُ قَاحِلَةٌ دُونَ عَيْنَيْكِ
مُجْدِبَةٌ دُونَ عَيْنَيْكِ ..
بَاكِيَةٌ دُونَ عَيْنَيْكِ ..
فَانْهَمِرِي غَيْمَةً
وَاهْطِلِي غَيْمَةً
وَارْحَلِي غَيْمَةً
فِي مَسَافَاتِ حُزْنِي
فَمَنْ دُونَ عَيْنَيْكِ يَزْرَعُنِي
فِي البَيَادِرِ سُنْبُلَةً ؟
تَتَرَصَّدُ قَافِلَةَ النُّورِ ..
مَنْ يَرْتَمِي
فِي مَدَايَ وَيَمْلَؤُنِي نَغَمًا .. ؟

* * *

كُلّ عَامٍ وَأَنْتِ القَرِيبَةُ مِنِي ..
البَعِيدَةُ عَنِّي ..
وَنَافِثَةُ السِّحْرِ فِي هَمَسَاتِي ،
فَهَلْ تَقْرَئِينَ الأَسَى
بِالنِّيَابَةِ عَنِّي .. ؟
فَقَدْ سَئِمَتْ سُفُنِي ظُلُمَاتِ
المُحِيطَاتِ ..
جَدَّفْتُ فِي فَلَوَاتِ الثَوَانِي
وَعُدْتُ – كَمَا عُدْتُ – مُتْعَبَةً
رَحَلاَتِي
وَلَكِنَّمَا العُمْرُ أَنْتِ ..
الصَّبَابَةُ أَنْتِ ..
المَوَاوِيلُ أَنْتِ ..
فَأَنْتِ البِدَايَةُ وَالمُنْتَهَى .. !!

* * *

كُلّ عَامٍ وَأَنْتِ مُسَافِرَةٌ فِي
جِرَاحِي
كُلّ عَامٍ وَأَنْتِ – كَمَا شِئْتِ –
يَا جَنَّتِي
غَيْمَةٌ تَتَبَرَّجُ لِلرِّيحِ ..
تَغْمُرُ كُلّ البِطَاحِ ..
كُلّ عَامٍ وَفِي وَطَنِي زَمَنٌ
بِالمُنَى حَافِلٌ ..
بِاللِّقَاحِ .

البشير المشرقي

قراءة سيميولوجيّة لقصيدة «إرادة الحياة» لأبي القاسم الشابي

بقلم: د. عبد الله الغذامي

ـ 2 ـ (*)

وهذه علاقة اصطراع دائم لا يتوقف . ولا ينتصر فيه قطب على آخر . ويظل قائما ومحتدما ما ظلت القصيدة التي تظل حية ما ظل القارىء حيا .

أ ـ مصطرع المد / الجزر :

تتحرك القصيدة داخليا في حركة متجاذبة جزرا ومدا وجاء ذلك على مدارين :

1 ـ مدار التوازن ثم كسر التوازن . وهذا مدار انطلق في صدر القصيدة الذي تحتله ثلاثة أبيات محكمة التوازن :

اذا الشعب يوما اراد الحياة   فلا بد ان يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي   ولا بد للقيد ان ينكسر
ومن لم يعانقه شوق الحياة   تبخر في جوها واندثر

وهذه أبيات احكم سبكها في نظام توازني يقوم على أسس تركيبية هي :

أ ـ المعادلة الشرطية متحركة في الصدر ومنتهية في العجز ويكون الشطر الاول كله في دائرة فعل الشرط . والثاني في دائرة الجواب . ولا يتداخل واحد مع الآخر . وعندما احتاج الامر الى تمدد جواب الشرط في البيت الاول. ثم اخضاع البيت الثاني كله لدواعي هذا التمدد وجاء مقسوما قسمة محكمة

(*) انظر « الفكر » ع : 4 ـ س : 30 ـ جانفي 1985 .

على شطرين متعادلين تمام التعادل ، كل واحد منهما يحمل جواب شرط اضافى للجواب الاول . وكل الثلاثة استهلت بـ (لا بد) متبوعة فى البيت الثانى باسم مجرور ومضارع ياتى منصوبا بان . وهى عناصر تشترك فيها الاشطر الثلاثة كلها .

ب ــ اعتمدت الابيات الثلاثة فى علاقتها الداخلية على نظام (العلاقة التضامنية) (7) وهى صفة للجمل إذا صار وجود احداها يقتضى وجود الاخرى . وجمل هذه الابيات تعتمد على بعضها لاقامة السياق ، ولو عزلنا احداهما لفقدت قدرتها الاشارية فى ذاتها ، وابطلت مفعول شريكتها أيضا

وهذا التوازن المحكم أسس للقصيدة ايقاعا عاليا ، به داهمت القصيدة القارىء وفرضت ايقاعها عليه ، مما يعطيها قدرة تحكمية عالية تمسك كل قارىء وتخضعه لسلطانها . ولكن هذا الايقاع بقوته العالية يحمل فى داخله خطورة بالغة على القارىء قد تبلغ حد التخدير ، أن هو استمر على نفس المستوى من القوة . وهذا أمر تم تداركه من الشاعر الذى يملك حسا مرهفا لم يترك القصيدة تتخدر تحت سلطان ذلك الايقاع العالى ، فبادر الى كسر هذا الايقاع بالبيت الرابع :

فويل لمن لم تشقه الحياة من صفعة العدم المنتصر

وهذا بيت جاء فى قمة الحاجة اليه ، حيث بادر الى تهشيم ذلك الايقاع الذى كان يتجه الى بناء نفسه على آخر انفاس القارىء المكدودة . وفيه نجد خرق الالفة من وجوه عدة نذكر منها :

أ ــ يتخلى البيت عن المعادلة الشرطية .

ب ــ يبدأ بجملة اسمية .

ج ــ يغير وزنه ويخرق قاعدة الوزن التى تأسست فى صدر القصيدة ، خرقا صارما حاسما ، حيث جاءت التفعيلة الاولى فى الشطر الثانى مخرومة (وهو حذف فاء فعولن) وصارت على وزن (عولن) بدلا من فعولن وهذا عمل أشبه ما يكون بالصدمة الكهربائية لايقاظ الغائب عن وعيه . والشاعر بارتكابه لهذا يحدث فى نفس قارئه صدمة تهزه وتوقظه من سدرته التى دخل فيها بمفعول الايقاع العالى فيما سبق من أبيات . وهذا هو المبرر الفنى لوجودها . بل إنه مطلب فني لوجودها .

---

(7) ديوان أبى القاسم الشابى 18 دار العودة ، بيروت 1972 .

اما كيف تم ذلك موسيقيا ، فالظاهر اننا نجد سره من خلال فحص المقاطع . والمقطع الذى سبق هذا الانحراف هو مقطع قصير يتكون من ساكن ومتحرك (س ح) وهو التاء المربوطة فى (حياة) . والاصل فى هذا المقطع أن يأتى متوسطا مغلقا (س ح س) (8) وهو السبب الخفيف من (فعولن) . ولكنه هنا فقد صوتا ساكنا فى آخره . ولعل هذا جعله معلقا فى لسان الناطق ينتظر صوته الساكن المفقود . والقارىء لهذا يحمله معه معلقا على طرف لسانه ، ولا يطلقه الا مع بداية الشطر الثانى ، حيث يتماسك من أول ساكن يتلاقى معه فى التفعيلة الاولى التى فقدت من أولها مقطعا قصيرا مشابها لهذا الملحق على لسان القارىء (س ح) ، ولهذا فانها تمسك به لتتم به نقصها . وهكذا يلعب هذا المقطع القصير (ة = س ح) دورين ، فهو يكمل ايقاع التفعيلة الاخيرة فى الشطر الاول ، ثم يطير منفوق لسان القارىء كى يكمل ايقاع التفعيلة الاولى فى الشطر الثانى . وكأن لا نقص هنا . وهذا يخدم غرضا عروضيا . بينما النقص يخدم غرضا فنيا بكسره للنغمة الصارمة للابيات السابقة . وهذا أهم وأولى . والشاعر معجب ببيته هذا وواقع فى أسره ، فكرره مرة أخرى بنفس النمط الايقاعى (رقم 18) مما يدل على اهتمامه بهذا البيت ، وعلى ادراكه لدوره الفنى الخطير . وتكرر البيت مرة أخرى جاء عقب جواب طويل صدر من (الارض) ردا على سؤال الشاعر لها ، واستغرق ذلك الجواب خمسة أبيات اخبارية (13 ــ 17) ثم تلاها هذا البيت وهو هنا محاولة لكسر التوقع لدى القارىء الذىقد يظن ان المقطع سينتهى نهاية رؤوما ، حيث الارض أم الانسان قد تحدثت عن ابنها ولميبق الا ان تمد له ذراعيها لتضمه اليها ولكنه يفاجأ بها تقول له :

فويل لمن لم تشقه الحياة ... من لعنة العدم المنتصر

وفى البيت تتغير احدى الاشارات عن سالفتها ، فتحل (لعنة) محل (صفعة) وذلك لكسر التوقع ، الذى هو داء يصيب القارىء بالتخدر ويعطل الانتباه لديه . وليس أولى من ايقاظه بمفاجآته بما لم يتوقعه ، كى يظل منتبها للقصيدة ، ومتصيدا لاشاراتها المتواثبة .

---

(8) را : R. Barthes : Elements of Semiology 69

(9) عن المقاطع راجع : د. سلمان العانى : التشكيل الصوتى للغة العربية ترجمة الدكتور ياسر الملاح . النادى الادبى . جدة 1404 هـ.

وهذه حركة داخلية فى القصيدة جعلتها دائمة النبض وطرية الايقاع ، الذى يتنوع ويتشكل فى كل لحظة نظنه اطرد فيها . وبذا شعت القصيدة بالحيوية والحركة الدائبة .

• تتكرر الانكسارات الموسيقية فى الابيات 56/51/47/45/36 . وكلها تحدث فى أعاريض الابيات (التفعيلة الاخيرة فى الشطر الاول) . ومع مطلع الشطر الثانى كما حدث فى البيت الرابع .

2 ـ مدار الارتداد :

رأينا تموج القصيدة بالحركة المتوثبة من خلال اشارات الزمن وتقلبها بين المضى والاتيان . وهذه حركة أخذت بالتواصل المستمر مع كل بيت من أبيات القصيدة . ولكن القارىء يلاحظ ان هذه الحركة تتجه نحو السكون عند نهاية البيت ، حيث سيطر على قوافى (10) القصيدة مزاج سكونى من حيث صياغتها التى غلب عليها (الجمود) . فعدد القوافى هنا (63) منها اثنا عشر فعلا هى :

أندثر 29/2 . غبر 48/30 . ينكسر 2 . كبر 15 . سكر 20 . عبر 28 . يمر 38 . انتظر 39 . ظهر 51 . سحر 61 .

وست مشتقات صريحة هى :

المنتصر 18/3 . المستتر 5 . المستعر 8 . المنتظر 43 . المدخر 49 .

وهذه تمثل الحركة كما رأينا من قبل . وهذا يعنى ان عدد اشارات الحركة فى القوافى = 18 فى مقابل (45) اشارة جامدة ، مما يغلب السكون فى نهايات الابيات . اضافة الى ان تفعيلة القافية هى (فعل) بسكوت اللام وهذه تفعيلة تحمل الصوتيات التالية : (س ح / س ح س) أى ثلاث صوتيات ساكنة ضد اثنتين متحركتين . وهذا يتضافر مع صيغ الجمود فى تهبيط حركة البيت . ولكن هذا الهبوط فى الحركة لا يجر الايقاع الى خمود وركود زمنى أو نفسى ، لان القصيدة تنتشل نفسها فى هذه اللحظات لتحدث ايقاعا جديدا

---

(10) المقصود بالقافية هنا هو الكلمة الاخيرة فى البيت حسب تعويف الاخفش لها . ولقد عالجنا هذا الامر فى بحث مستقل . راجعه فى (مجلة كلية الآداب) جدة . جامعة الملك عبد العزيز عدد 4 (1404) بعنوان : ارسال الروى فى الشعر القديم .

ينبع من حركة الارتداد الداخلي ، الذى يحدث من خلال التكرار حيث نجـد خمس عشرة اشارة تقع كقواف مكررة لاربعة وثلاثين بيتا . وهذا بيانها :

القـدر 63/1	اندثـر 29/2
المنتصـر 18/3	الشجـر 40/6
الحفـر 17/9	أخـر 35/10
الزهر 59/54/41/16	العمـر 50/21
السحـر 36/22	المطـر 42/24/11
الثمـر 34/25	العطر 47/26
نضـر 53/27	غبـر 48/30
القمـر 60/55/37	

وفى هذا البيان نلاحظ تنوع الارتدادات وتعدد تشكلها على وجوه منها :

أ ـ يغلب الارتداد فى الاشارات (الجامدة) ، حيث لا يوجـد فى البيـان سوى فعلين فقط (اندثـر / غبـر) ومشتق صريح واحد (المنتصـر) . وما عداها فهى اشارات جامدة . وذلك لان الاشارات الجامدة هى التى بحاجة الى التحريك.وجاء التكرار فيها لتنشيط الانتباه عند المتلقى ببعث الحيوية فى الاشارة على أساس ان اعادة الاشارة فيها ارجاع لرصيدها فى ذهن القارىء كاقامـة للالفة بينهما ، تماما مثل استخدام (ال) مع النكرة فى حالة التكرار لتكون ال العهدية باعثة لرصيد الكلمة فى الذهن .

ب ـ تواتر تكرار بعض الاشارات وبلغ أربع مرات أحيانا مثل (الزهـر) وثلاث مرات مثل (المطـر) و (القمـر) . وهذه محاولة لاستغلال الطـاقة التكرارية فى هذه الاشارات . لانها اشارات يقوم وجودها على التكرر الدائم (ضـد الثبـات) . فالزهر تغير دائم وتجدد . وكـذلك (المطـر) تجـدد وطراوة . والقمر حالة مرور دائمة التكرار والتغير . وهى صفة لحالـة ذلـك الكوكب فى طور تكررى من حالات ظهوره للناظرين ، تختلـف من البـدر والهلال والمحاق .. الخ . وفى استجلاب هذه الدلالات الحركية المتجـددة الى قوافى القصيدة ، استنهاض للحركة لتنمو من قاب الجمود فتنطلق متجاوبة مع مد القصيدة المتوثب ، فيصبح السكون عندئذ تنويعا ايقاعيا يهدىء من وثب الحركة لكنه لا يقتلها ، اذ ما تلبث أن تدب نسناسة من وراء السكون لتتعانق

رخية شجية مع مطالع الابيات بعدها فتتخامر مع ما فيها من حركات تتعالى فى وسط البيت حتى اذا ما وصلت الى خاتمته أرخت من اعنتها على سكنات القافية تمهيدا لانطلاقها من جديد . كدورة القمر هلالا وبدرا وهلالا دائرا فى حركة دائبة تسكن قليلا لتتحرك من جديد . وتتحرك لتسكن مرة أخرى وهكذا فى دورة متلاحقة الاطراف لا تنتهى فى نظرنا عند حد .

وهذه صورة ايقاعية لتاريخ الانسان العربى (حركة ــ سكون ــ حركة) فهو إنسان (ماضيه حى) كما هو ايمان الشاعر . وله حاضر (ميت) ويتوجه نحو مستقبل يعيد حيوية الماضى . كما هو أمل الشاعر . وسكون القوافى هو مفترق بين بيت ولاحق . أى مفترقنا اليوم بين الماضى والمستقبل والشاعر مفعم بالامل والطموح فهو كلما سكن حركة قصيدته كانعكاس لسكون شعبه ، انعش هذا السكون بافتعال الحركة فيه . ثم بتفجيرها مرة أخرى بالبيت اللاحق .

ج ــ فى أربع وثلاثين قافية مكررة ، لا يتطابق السياق الا فى أربع حالات فقط (القدر 63/1 والمنتصر 18/3) . اما الحالات الثلاثون الباقية فانها قواف فى سياقات مختلفة . ولهذا دلالة فنية رفيعة جدا . فهو يمثل تحرير الكلمة من سياقها الموروث . واطلاقها حرة تختار هى سياقها الجديد . اى انها ليست هى ذات الشىء السابق أو عينه وانما هى شبيه الشىء ومماثله فقط ، تماما كالمطر يحمل اسما واحدا يختلف عينا . فما يهبط اليوم من مطر ليس هو ما سبق ان هبط من قبل . وللمطر سياق يختلف دوما عن سوابقه . فالغيم والهواء والظرف كلها جديدة ومختلفة . ومثلها الكلمة تاتى وكأنها قد جاءت من قبل ولكنها لم تات من قبل وانما شبيهتها أو شقيقتها التى لعبت دورها فى وقتها ، وتجىء هذه لتوجد وقتها ودورها وهذا يكسر ما أسسه النقد الوصفى فى صفة القافية كقول المرزوقى (11) عنها : (واما القافية فيجب ان تكون كالموعود، به المنتظر يتشوفها المعنى بحقه واللفظ بقسطه) . فالقوافى هنا ليست كالموعود به المنتظر وليس المعنى بمتشوف لها . وذلك لانها هى التى تؤسس المعنى وليس هو الذى يؤسسها . وهى فوق المعنى وسابقة عليه. وليس المعنى هدفا لها كما انه بكل تاكيد ليس سبب وجودها . فهى تتجاوز المعانى بتجاوزها للسياق الموروث وبانفصالها عنه . وهى على يد الشاعر

(11) شرح ديوان الحماسة 11/1 ، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون ، القاهرة 1951 م .

تتحول من كلمة مقتبسة أو لفظة مستعارة ، الى اشارة حرة طريفة . أى أنها تعود الى أصلها الفطرى ، حاملة امكانية التدليل الحر النقى من أى تلويث ينهك طاقتها . و (امكانية التدليل الحر) فيها هى فعالية تصدر من القارىء وليست شرطا مفروضا على الاشارة كما هو المفهوم من كلام المرزوقى الذى يصف ما رآه من شعر مجموع (I2) . ولم يكن يؤسس نظرية فى الابداع والوصف غير التنظير . والشاعر عندما يحرر الكلمات ويحولها الى اشارات انما يصدر فى عمله عن حركة لا عقلية يمارس فيها وظيفته مثلما مارس اسلافه وظائفهم منذ زمن المهلهل ، قبل أن يأتى النقاد الوصفيون ليقيدوا الشعر بقيود ليست منه فى شىء .

ان الكلمة كاشارة ليست اتحادا صوتيا ومعنويا ، ولكنها صوتيات مؤتلفة وحسب ، ووجودها يتحقق باثرها الايقاعى على المتلقى . ولو نظرنا الى واحدة من الاشارات المكررة مثل (الزهر) لوجدناها فى كل مرة تقوم فى النفس مقاما يختلف عن مقامها الآخر . ولنقرأ أبياتها الاربعة :

I6 ـ فلا الافق يحضن ميت الطيور ولا النحل يلثم ميت الزهر
4I ـ ظمئت الى النبع بين المروج يغني ويرقص فوق الزهر
54 ـ فميدى كما شئت فوق الحقول بحلو الثمار وغض الزهر
59 ـ وضاءت شموع النجوم الوضاء وضاع البخور بخور الزهر

وفيها نرى ان (الزهر) جاءت اشارة مستقلة مرة واحدة فقط فى البيت (4I) حيث الكلمة مطلقة الدلالة على جنس الزهر . أما فى الابيات الثلاثة الاخرى فهى (مضاف اليه) وهذا يجعلها تتحد مع المضاف ـ لتشترك معه فى بناء الدلالة . و (ميت الزهر) هو حالة معينة للزهر ، وليس هو الزهر نفسه . وهو هنا يمثل حاضر الامة (شعب يومه ميت) . وهو يختلف عن (غض الزهر) الذى يقف على نقيض الميت ، ليكون أملا يأتى مبشرا بعطاء جديد . كما أن (بخور الزهر) يمثل الماضى المعطاء . فالزهر لا يكون له بخور الا بعد ان يقتطف وييبس ويعامل بالنار التى تستخلص ما فى جوفه من عبق زاه يفوح بخورا ينعش النفوس ويطربها . وهذا يتم بعد خطى تقدمية

(I2) كان المرزوقى يصف عمود الشعر المعروف فى اشعار من سبقه ، كما يصرح فى مقدمته ص 8 .

مكثفة تخطوها القصيدة ، التي حكمت على الحاضر بالموت . وقاومت باستحضار الماضي لتحريك زمن الامة الى مستقبل يضوع بخورا وتجوما وضاء .

ويبدأ ذلك مع البيت السادس :

ودمدمت الريح بين الفجـاج وفوق الجبـال وتحت الشجـر

فالريح هنا تأتى بسلطان غاشم يتسلل الى الكون من كل المنافذ / بين / فوق / تحت / . وهذه مداخل لا تترك ركنا ساكنا ولا نفسا دون أن تعصف بها . وقدومها قدوم غضب وعذاب ، فنحن نعـرف من ورود (الريـح) فى القرآن الكريم انها فى حالة العذاب تأتى مفردة ، كقوله تعالى : (وأمـا عـاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية) (13) .

واذا جاءت بصيغة الجمع فهى رحمة كقوله تعالى : (وأرسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه) (14) .

وعليه جاءت اشارة (الريح) هنا حاملة الويل والثبور للجسـد الميت فى الوطن الخامل . ولكن القلب الوجل ينط خارج الموات ليتلبس بدماء الشباب . وسينطلق عبر لسان الشابى معلنا لنفسه الحياة ويقول :

10 ــ **فعجـت بقلبى دمـاء الشبـاب وضجت بصدري رياح اخـر**

11 ــ **واطرقت اصغي لقصف الرعود وعزف الريـاح ووقـع المطـر**

ويدخل بذلك فى ألفة مع الكون حوله فهو يطرق مصغيا ، وهـذه حـالة صفاء ومحبة وانتشاء . ولذلك فانه لا يداهم بريح تدمدم ولكنه يتلاقى مـع (رياح) تعزف ، لانه خرج من دار الاثم والخطيئة بريئا نقيا كخروج لوط من سدوم ، فسلم من الريح ، ولقي الرياح والرحمة . ويستقبل المطر الذى ينزل عليه نزولا موقعا (ووقع المطر) فى تناغم مع عزف الرياح . فالمطـر والريـاح الكونية تأتى متجاوبة مع الرياح الناهضة فى صدر الشاعر الذى هو الوطن

(13) الحاقة 6 ، وانظر أيضا يونس 22 ، والذاريات 41 ، والاحزاب 9 ، وفصلت 16 ، والقمر 19 .

(14) الحجر 22 ، وانظر أيضا الاعراف 57 ، والنمل 63 ، والروم 466 .

بدماء شبابه الجديد الذى يتجاوز عصر الريح ، ويدخل فى عصر الرياح اللواقح التى تمد الزمن ببذور تحملها من الماضى المجيد ليحبل بها رحم الآتى فيمتد العطاء وينمو .

ولكن الامر ليس بهذه السهولة ، ولذا فان حلم الشاعر يظل معلقا بين الرياح ، وما يلبث طول التلهف فيه ان يضنيه فينشف منه الريق بعد أن يخطو خارج البيت التاسع والثلاثين فيرفع كفيه مستنجدا : (40 — 43)

ظمئت الى النور فوق الغصون ظمئت الى الظل تحت الشجر
ظمئت الى النبع بين المروج يغني ويرقص فوق الزهر
ظمئت الى نغمات الطيور وهمس النسيم ولحن المطر
ظمئت الى الكون اين الوجود ؟ وأنى أرى العالم المنتظر ؟

وهذا اتحاد كامل بين الماضى والمستقبل من حيث إنه وصف لفردوس ونعيم هو ماضى البشرية عندما كان أبوها آدم فيه قبل أن يقترف الاثم ، ويهبط الى الارض . كما ان (الفردوس) مستقبل للنفوس الصالحة تجد فيه عوضا لها من عنت عيش مر عليها . والشاعر ظامىء لهذا الفردوس الذى يصوره لنا وكأنه يراه مستدعيا إياه من ذاكرته ، ومتخيلا له كمستقبل للامة. ولذلك يشتد الظمأ ويضغط على القصيدة . وهو الحاجة الى الماء الذى هو سبب الحياة كما فى الآية الكريمة : (وجعلنا من الماء كل شىء حى) (15) .

وهنا تأتى منافذ الوجود مطلبا للحياة . فالاشارات (الى / فوق / تحت / بين) فى هذه الابيات تتخلل عناصر الفردوس (النور / الغصون / الظل / الشجر / النبع / المروج / ... الخ) ، لتربط هذه العناصر مع بعضها البعض كى ينفذ الشاعر عبرها الى ماء حياة . وهذا يقف فى مغايرة للمنافذ السابقة فى البيت السادس ، حيث النقمة والغضب من الشاعر ومن الحياة ضد الموت.

وهذا الظمأ الذى يداهم القصيدة ، جاء لان الشاعر يقف بمفرده أمام دواعى الحياة ، ولذلك فانه حينما يتنبه الى حالته تحت لهيب الظمأ ، يتدارك

الحال بأن يتوجه نحو الامة فى محاولة للانتصار على العطش ، فيقدم الحيـاة للأمـة :

52 ـ إليـك الفضاء إليـك الضيـاء   إليـك الثـرى الحـالم المزدهـر
53 ـ إليـك الجمـال الـذى لا يبيـد   إليك الوجود الرحيـب النضـر

انه يعرض على الامة فردوسه الذى حلم به ليجد الجميع نبع الماء فيرتوون مجدا وحياة ، ويعد الامة إن هى فعلت ذلك قائلا :

54 ـ فميدى كما شئت فوق الحقول   بحلو الثمـار وغض الزهـر
55 ـ وناجي النسيم وناجي الغيوم   وناجي النجوم وناجي القمـر
56 ـ وناجي الحيـاة وأشـواقهـا   وفتنـة هذا الوجـود الأغـر

وهذه الابيات المقتبسة تحمل اشارات متكررة ذات تردد سريع ومتلاحق دون فواصل فيما بينها (كما فى اشارات القوافى المكررة) . ولذلك يشتد التعاهد فيها اذ ما يلبث المتلقى ان يتخلص من واحدة حتى يجد الاخرى تمسك به ، مما يقوى حركة القصيدة ويضاعفها . ولا يدع فرصة للسكون ينتابها من داخلها . فصار الارتداد هنا تلاحما واندفاعا . وحول الاصطراع فى القصيدة الى تفاعل يتفجر فى روح المتلقى الذى يقع فى أسر النص ويتلبس به ويصبح (أثرا) له يتحرك كالمسحور تحت سلطان السحر (*) .

د. عبد الله الغذامى
(السعودية)

---

(15) الانبيـاء 30 .
(*) انظر نص القصيدة بديـوان « أغـانى الحيـاة » النسخة التى اعتمدناها صادرة سنة 1966 عن الدار التـونسية للنشـر ص. ص. 240 ، 241 ، 242 ، 243 ، 244 .

الصّبيّ المغفّل

قصة : الحبيب بن فضيله

①

ضرط الحمار ضرطات متتالية فقد وخزه الشيخ علي بعصاه القصيرة الغليظة المذببة التى اصطفاها من شجيرات الزيتون الشامخة امام كوخه المترامى مع أكواخ أخرى متفرقة فى تلك الوهاد القريبة من القرية ٠

التصق الصبى بجده وواصل الشيخ علي وخز الحمار الذى انتصبت اذناه والتصق ذنبه بمؤخرته التصاقا ، واخذ الغبار يتصاعد تحت حوافره وكأنه فهم ان صاحبه يريد اللحاق بزمرة من الرجال كانوا قد ركبوا احمرتهم فى ذلك الصباح الباكر فى اتجاه السوق الاسبوعية ٠

يوم السوق تستيقظ النساء باكرا يجمعن البيض وبعض (الفراريج) ويقدم ذلك، الى الازواج مع قائمة شفاهية للاحتياجات الضرورية كالملح والصابون والقاز والفحم والوقيد والسكر والشاى فالبدو يدمنون نساء ورجالا على شرب الشاى تماما كما يدمن أهالى المدينة على شرب الخمر فى الحانات ٠

كان الصبي يتمنى لو يطول الطريق فقد امتعته تلك الاحاديث الصباحية بين جده وعلي بالعربي وعمار العجيمى وحسن البوهالى ومحمد بن عامر وعلي بالعجمى كانوا يتحدثون عن عام العجاج وعام اليربوع وعن وصول الالمان الى هناك وتحدث جده بمرارة عن حادثة وقعت له ايام الاستعمار فقد صفعه الجندرمة وقادوه الى السجن فى شهر رمضان لانه قطف كعبة هندى من طابية على ملك احد المعمرين لما اذن المؤذن لاعلان موعد الافطار ٠٠٠

②

كانت السوق تعج بحركة وضوضاء لا عهد للصبي بها ٠ فهذه المرة الاولى التى يترك فيها شويهاته واللعب مع بعض الاطفال ليزور السوق ٠ لقد أحس بنشوة عارمة تسرى فى كامل جسمه كدبيب النمل وهو يتبع جده المتنقل بين الخضارين

والبقالين وبائعي الحلويات والمشروبات ثم عرجا على سوق البيض وسوق الحبوب وسوق الحيوانات فالفطايرية فسوق الدجاج والاسماك ٠

لقد كان الصبي كمن يكتشف الدنيا لاول مرة ٠

اشترى له جده (فطيرة بالعظمة) من بريك ولد الصيد فكانت ساخنة لذيذة وخجل ان يقول انه يود ثانية لكنه منى النفس فهو سيدخل المدرسة بعد يومين فقط وبامكانه ان يتدبر الامر فيسرق لأمه شيئا من البيض يبيعه ويشتري بالثمن كدسا من الفطائر ٠٠٠

③

في سو قالاقمشة لم يكن عبد الملك يصدق عينيه وهو يرتدي بعض الالبسة الجديدة ٠

ـ هذي باهية !؟

ـ لا نحب هذيكه ٠٠٠ هذي خايبه ٠٠ نحب نقيس الاخرى ٠

اشترى له جده كل شيء وزيادة فقد باع الاسبوع قبل الماضي صابة اللوز الى تاجر صفاقسي فانتفخت وقتها جيوبه بكوارط بوخمسة وبوعشرة ٠

أحس الشيخ علي بثقل ما اشتراه . تكاد القفة الكبيرة تهد له كتفيه بالاضافة الى ما يحمله حفيده ، هذا اليتيم الذي ظل يرعاه ويغدق عليه من العطف والحنان الشيء الكثير ٠

كانت الشمس قد انتصبت في كبد السماء ولابد من العودة قبل ان يبدأ الشهيلي ، فقصدا مربض الحمار ٠٠٠

④

ضاعت العشرون مليما ٠٠٠

بحث عنها الصبي في روث البهائم المتكدس فلم يجدها ٠

خطا الى الامام وخطا الى الوراء وظل مترددا تخضه الحيرة ٠٠٠

هل يعود الى جده ليعطيه غيرها !؟

ـ لا..ان جدي رجل عصبي ستثور ثائرته اذا علم بضياع العشرين مليما.. عشرون مليما كاملة تضيع ٠٠٠ عجبا كيف انزلقت من بين أصابعي وغاصت في الروث !!

ترى الا يمسك بنا سعد الاعور صاحب المربض اذا ما ركبنا الحمار ٠٠٠ وفجأة سمع صوت جده يناديه ٠

ـ هيا اسرع ٠٠ خلصت الراجل ما هو ٠٠٠ صحيت ٠٠٠

كان الشيخ علي قد رمى البردعة على الحمار ووضع القضية في الزنبيل باحكام فجعل بيدون القاز والفحم والوقيد وبعض الحبال في (شارية) .

ثم وضع قفة الخضر وادباش حفيده في (الشارية) الثانية . وبعد أن أركب عبد الملك تفطن انه نسي اشتراء حكة نفة لجارته الارملة (محجوبة) فأسرع باتجاه ضرف الناصر بالزين بعد ان اوصى الصبي بضرورة انتظاره هناك .

وخشي عبد الملك ان يتفطن سعد الاعور فيطالبه بأجره مقابل حراسة الحمار في المربض فساق دابته مبتعدا عن ذلك المكان .

⑤

في محل بيع التبغ التقى الشيخ علي بصالح بن ضوء فأمسك به محاولا جره الى دكانه القريب حتى يلعبا (الدامة) فقد انتصر عليه الشيخ علي مرتين متتاليتين مما جعله يتحين الفرصة لان يبرهن له ان ذلك كان بمحض الصدفة اذ يشهد كل اهالي القرية ببطولة عم صالح ... ولكن الشيخ علي اعتذر له حيث اخبره بانتظار حفيده له قرب مربض سعد الاعور للاحمرة .. وكعادته قرر عم صالح أن يمزح مع صديقه فهما لا يلتقيان الا يوم السوق ...

⑥

شعر عبد الملك بالضجر فقد طالت غيبة جده اكثر من اللازم ... وهذا الحمار صعب المراس فهو يريد أن يشرع في نهب الطريق ... نزل عبد الملك ليمسك بهذا الحمار من شكيمته . وفجأة اطل عليه رجل متمارض يبدو الاعياء على وجهه واضحا فقال لعبد الملك .

ـ عيش ولدي اشرى لي كعبة حرابش . ها هو الحانوت قريب وها أنا هنا انتظرك قرب الحمار ...

وانطلق عبد الملك يعدو .. ولما اشترى وعاد بحث عن الحمار فلم يقف له على اثر عندئذ راح يبكي ويلطم وجهه كامرأة فقدت زوجها بعد شهرين من الزفاف .. لقد ضاعت أدباشه الجديدة وضاع الحمار .. سيشبعه جده ضربا ولكما وكلاما جارحا .. وراح يركض هنا وهناك كمن لدغته عقرب في عجيزته ...

في تلك الاثناء كان عم صالح وصديقه الشيخ علي مستغرقين في الضحك في مكمنهما ولما أشفقا عليه برزا له مبتسمين فسقط مغشيا عليه ...

الحبيب بن فضيله

الانشاء الشابي في انتظار قراءات جديدة

بقلم : محمد خريف

يقول الاستاذ حمادى صمود « وتبين لنا فى خضم هذه المحاولات أمر على جانب كبير من الخطورة . هو ان القراءة الجادة للأدب لا يمكن أن ترتجل اطلاقا ولا تتأتى الا من معايشة الأثر ومكاشفة دقائق بنائه والاندساس ضمن مسلكه المتعقد المتشعب الذى حوله بمشيئة ما من « نص وهم » الى « نص ظاهرة أو نص علامة » (1) .

يتأكد من خلال هذا القول ومن الممارسة القريبة للنص الأدبـي أن الانشاء سواء أكان نثرا أو شعرا للوقوف على حدوده لابد من قراءة تتكيف آنيا وزمنيا بالقارىء وقدرته على التعايش مع ما يقرأ . وهذا يفرض ما يسمى بمنهجية القراءة اذ حسب وجهة المتقبل للملفوظ يكون الفهم والتعليل والتأويل وخوفا من الوقوع فى متاهات النقد والانطباع الناتجة عن المدارس النقدية المتعددة كالتى تتبنى المنهج الاجتماعى أو النفسى أو البنيوى استقر الراى على الانطلاق من النص كمادة خام يتعامل معها القارىء بقطع النظر عما حام حوله من أقاويل وافتراضات .

والشابى أنشا ورحل،قيل فيه ويقال الكثير لكن هل أن ما قيل فيه هو عين الحقيقة وهل قرىء كما ينبغى أن تقرأ الآثار الأدبية بمنأى عن الأحكام المسبقة والمفاهيم الموروثة ؟ هذا ما لا نستطيع تأكيده والحال أن كثيرا من متعاطى حرفة الأدب يصفونه بالعبقرية والريادة ؟ كما يضعونه أحيانا فى رف أدباء المهجر وأحيانا أخرى يلقون به فوق جبال الرومنطقية .. فهذا يقول : شعر الشابى ضعيف فى بدايته وناضج فى نهايته .. والآخر يقول انه وطنى والآخر يرميه بعقدة النقص الى آخره .

---

(1) مجلة فصول جويلية 1981 ص 219 .

كما أن الهالة التى أحيطت بالشابى والظروف التى لازمت قراءة انتاجه كانت سببا فى اذايته. لأن مفهوم القراءة تغير عما كان عليه فى الماضى فهى لا تعنى قتل النص بالوقوف على حدوده والحكم عليه بمنظار النقد الدخيل عليه وانما هى محاولة معايشة لمعاناة الشاعر لا على مستوى الشكل وانما على مستوى الكلمة كبذرة نابضة بالشاعرية مما يجعل القراءة خلقا جديدا والشابى قبل ان نبحث عنه فى كتب المنظرين مشرقا ومغربا نكتفى برقعة نصه علنا نخلق امتدادا جديدا لذلك النص يكون قريبا من عالم الشابى وبعيدا عن تأويلات النقد وحتى تكون كل قراءة بنتا لقارئها ويعلم كل حفيد أن عليه أن لا يتكل على ما فهم أجداده بل يجب عليه أن يجابه الأثر من جديد ويعمل فيه بمعوله الخاص.

وفى ما يلى أنموذج لمحاولة قراءة موجزة لنص من نصوص الشابى :

النص :

الى طغاة العالم

الا ايها الظالم المستبد حبيب الظلام عدو الحياه
سخرت بانات شعب ضعيف وكفك مخضوبة من دماه
وسرت تشوه سحر الوجود وتبذر شوك الأسى فى رباه

* * *

رويدك لا يخدعنك الربيع وصحو الفضاء وضوء الصباح
ففى الأفق الرحب هول الظلام وقصف الرعود .. وعصف الرياح
حذار ! فتحت الرماد اللهيب ومن يبذر الشوك يجن الجراح

* * *

تأمل هنالك .. انى حصدت رؤوس الورى ، وزهور الأمل
ورويت بالدم قلب التراب وأشربته الدمع ، حتى ثمل
سيجرفك السيل سيل الدماء ويأكلك العاصف المشتعل (*)

من خلال تركيبة العنوان المتآلفة من حرف الجر الذى يفيد معنى الاتجاه أى التوجه رغبة فى الانتهاء الى مقصود هو جمع تكسير مفرده « طاغ » ، والطاغى اسم فاعل من « طغى » ، ذلك الفعل المحمول على دلالة الاستبداد والهيمنة فى معناها المطلق ؟ لكن سعيا لتضييق مفهوم الطغيان نتساءل من هم هؤلاء الطغاة ؟

(*) أغانى الحياة ص 264 ـ 265 ـ الدار التونسية للنشر : 1970 .

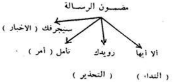
والى أى اطار ينتسبون ؟ ان هؤلاء الطغاة الذين يجر اليهم حـرف الحرف غير محددى الهوية فلم يكونوا منتمين الى مكـان معيـن أو جنس معيـن وليسـوا سماويين وانما تفيد الاضافة أنهم ينحدرون من سلالة العالم المطلق لكـن ماذا سيحمل حرف الجر الى هؤلاء ؟ هل سيمدهم بقنبلة يدوية ؟ وهل سيقدم لهم هدية ؟ أو ماذا ؟

ان إلقاء نظرة أفقية عمودية على رقعة القصيدة تمكن من استنتاج ظاهـرة هامة ومفيدة تتمثل فى طغيان ضمير المخاطب « أنت » .

(أيها ـ سخرت ـ سـرت ـ تبـذر ـ رويـدك ـ لا يخدعنك ـ رويت ـ وأشربته سيجرفك ـ ويأكلك) .



وبما ان المخاطب يفترض وجود مخاطب كذلك فان علاقـة عنصرى البـاث والمتقبل تتضمن موضوعا للخطاب وهذا الخطاب هو رسالة يتوجه بها المتكلم الى هؤلاء الطغاة الذين جاء التعبير عنهم بصيغة المفرد خلافا للعنوان . لكن ما هو محتوى هذه الرسالة ؟ ان صيغة البناء الاسلوبى تمحور القصيدة حول محاور أربعة تتضمن معنى النداء والتحذير والامر ثم الاخبار .



اذن الأمر يعود الى الحواس وحاسة النظر فى معناها الواسع هى التى سببت هذا الانخداع وهكذا تصبح قضية الظلم والاستبداد عند الشاعر قضية احساس بالدرجة الأولى لذلك حذر من جديد منبها الى جدلية منطق الأشياء التى تقوم على الأمر وضده وربط السبب بالنتيجة .

حـذار فتحـت الرماد اللهيـب ومن يبذر الشوك يجن الجـراح

فلو لو يكن الشوك لما كان جني الجراح . فاستغل الشاعر هذا المثل الذى ذهب مذهب الحكمة ليستأنف خطابه الى الظالم فى صيغة أمر داعيا اياه الى التأمل فى ما بذره والبذر جاء هنا مرتبطا بمعنى الحصاد وهو يعنى القيام بفعل سيكون له فيما بعد رد فعل .

تأمل هنالك أنى حصدت رؤوس الورى ، وزهور الأمل
ورويت بالدم قلب التراب وأشربته الدم حتى ثمل

فالفعل الذى قام به الظالم يتوقف أثره عند الأضرار المادية وإذن هو عمل يهدف الى القضاء على الأمل الذى هو سمة من سمات الحياة اذن مهمة الظالم تتمثل فى القضاء على الحياة من أجل إرواء عطش التراب الذى نهل من الدماء حتى وصل درجة السكر . وفى هذا تعبير عن منتهى الأعمال الاجرامية التى يقوم بها الظالم فالأرض أصبحت نشوى لا تعى ولعل فى استعمال كلمة « قلب التراب » لأكبر دليل على ما يسببه عدو الحياة من آلام يشمل بالدرجة الأولى الأحاسيس التى من قرائنها « القلب » ذلك القلب الذى أكسبه صفة الانسان الحزين السكران . لكن الشاعر لا يصل الى درجة اليأس وانما يعلن فى ثقة أن الظالم ستقضى عليه أفعاله فى القريب العاجل .

سيجرفك السيل سيل الدماء ويأكلك العاصف المشتعل

فالطاغية لا ولن يهلكه أجنبي وانما ستعود عليه أعماله الاجرامية بالوبال فهذه الجدلية .. هى التى تميز تفكير الشابى فى هذه القصيدة وتبرز شدة ايمانه بحتمية هلاك الظالم بما ارتكبت يداه من اثام . وهكذا يصعد الشابى شعره من مجرد التعبير عن علاقة ظالم بمظلوم قد تكون محددة بزمن أو مكان الى التعبير عن قضايا انسانية مطلقة .

غير أن هذا الخطاب جاء من جانب واحد يتميز بغياب أجوبة المتقبل وحضور الباث حضورا ضمنيا . فكان النداء متضمنا لمعنى العرض والتنبيه الى صفات الظالم الساخر العابث بسحر الوجود لذلك كشف من صيغ الصفة المشبهة وجعلها فى مقابلة مع صفة الشعب الضعيف .

الظالم	- المستبد - حبيب الظلام - شعب ضعيف - عدو الحياة

فكان الظالم رمزا للموت وكان الشعب رمزا للحياة لكن الحياة لم تبق بمنأى عن اذى الموت المخدوع بصحو الربيع لذلك حذره الشاعر من مغبة التأثر

بمظاهر الأشياء التى تبعث فى نفسه الاطمئنان التى حصرها فى الربيع وصحو الفضاء وضوء الصباح . لكن ما الربيع وما علاقته بصحو الفضاء وضوء ا صباح . فالربيع فى دلالته فصل تفتح الازهار واخضرار المراعى ومن دلالاته الاخرى ازدهار الظلم وصيت نفوذه لكن الشاعر لم يكتف بالربيع للتعبير عن رغد العيش وانما أكد ذلك بدخل فى حيز الربيع ولا يقتصر عليه فالربيع كفصل من سنة لم يكن وحده الخادع وانما ساعدته على ذلك ظروف الطقس فكان صحو الفضاء وضوء الصباح .

الربيـــع	ضــوء الصبــاح	
	صحــو الفضــاء	

ولتدعيم رأيه بعلمه بان الأمر ليس دائما كما يتوقع اذ هناك مقابلات تجعل الظرف ينقلب من النقيض الى النقيض .

الربيــع ≠ هــول الظــلام

صحــو الفضــاء ≠ قصف الرعــود

ضــوء الصبــاح ≠ عصف الريــاح

فهذه المتناقضات موجودة فوق نفس الأرض التى يعيش عليها لكـن بعضها الآخر لم يقدر على رؤيته لفساحة الأفق . لذلك فالقضية ليست قضية انعدام شىء أو وجوده وانما الأمر يتعلق بقدرة الظالم على تبين واستجـلاء ما تحـت الرمــاد .

فالظلام قد يكون المستعمر الفرنسى .. وقد يكون المظلوم الشعب التونسى وقد يكون طرف الظلم غير ذلك .. فلا هذا ولا ذاك .. وقد يأخذ الظلم مفهوما آخر قابلا للتأويل .. وهذا ما يضمن لنص الشابى أدبيته ويجعله غيــر قابل للحصر . ولا خاضع لناموس التحديد والفناء . من أجل ذلك نقول ان انشاء الشابى فى حاجة دائمة الى قراءات جديدة تتكيف وظـروف القــراء ورؤاهــم الفكرية كما يدعو الأمر الى تجاوز الشابى الى غيره مــن النصــوص الأخــرى الشابة .. حتى لا يحتكر النجوم الساحة على حساب غيرها .

محمــد خريــف

الأبطـــال

حوارية : عبدالله الزناد

الراوي : كان الامير ابو قدامة بين رجاله يعظهم ويستحثهم ويبعث فيهم النخوة والحمية لغزو الروم وإعلاء راية الاسلام ونصرة دين الله . إذ دخـل عليهم الحاجب يقول :

الحاجب : مولاى : بالباب امرأة تطلب مقابلة الامير !

ابو قدامة : فلتدخل .

الحاجب : ادخلي يا سيدة فان الامير فى انتظارك .

المرأة : السلام عليك أيها الامير .

ابو قدامة : وعليك السلام ورحمة الله الملك العلام ، ما شأنك يا أمة الله ؟

المرأة : جئتك بهذا الكتاب وبهذه الصرة فتفضل بقبولهما على بركة الله . ولعل فى ذلك نفعا لجيوش المسلمين .

ابو قدامة : هاتى .. وعسى أن يكون فى الامر خير إن شاء الله .

* * *

متوجها الى كاتبه :

ابو قدامة : أسمعنا أيها الكاتب ما جاء فى هذه الرسالة !

الكاتب : (يقرأ الرسالة) .

بسم الله الرحمن الرحيم من أمة الله المسلمة الى أميـر جيش المسلميـن سلام عليكم .

أما بعد فانك قد دعوتنا الى الجهاد فى سبيل الله . ولا قدرة لى على الجهاد . وهذه الصرة فيها ضفيرتى . فخذ بها قيدا لفرسك . لعل الله يكتب لى شيئا من ثواب المجاهدين .

أبو قدامة : (رافعا رأسه الى السماء) .

شكرا لك يا رب على توفيق هذه السيدة وأمثالها . هؤلاء المسلمون يشعرون بواجبهم ويتكتلون على اعدائهم ، ويبيعون أنفسهم الى الله بأن لهم الجنة .

الراوي : واحتدم القتالَ بين المسلمين والروم وحمي الـوطيس وتتعتعت السيوف وتطايرت السهام .

وأقبل صبي حدث على أبى قدامة وقال :

الصبي : السلام على أمير جيش المسلمين .

أبو قدامة : وعليك السلام يا بني . ما شأنك أنت أيها الصبي ؟ وما قدم بك الى ساحة الوغى ؟

الصبي : جئت لقتال المشركين أيها القائد العظيم .

أبو قدامة : تنح عنا أيها الصبي وارفق بنفسك فانت صغير السن وليس لك طاقة بلقاء أهوال الحرب . ولا صبر لك على الطعن والضرب .

الصبي : كيف تأمرنى بالرجوع ؟ والله تعالى يقـول : (انفـروا خفافـا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله) .

أبو قدامة : صدق الله العظيم هذه الآية الكريمة ليست موجهة الى الصبيان أيها البطل الصغير . انزع هذه الفكرة من رأسك أيها الصبي ؟

الصبي : (ملحا فى الطلب) :

أقرضنى ثلاثة أسهم ــ يارعاك الله ــ وسوف تشهد بلائى وتخبر بطولتى.

أبو قدامة : عجبا لك يا بني فانى مشفق عليك بقدر ما أنا معتز ببطولتك . فها أنذا أقرضك ما تريد بشرط أن تشفع لى إن من الله عليك بالشهـادة . وإنى أشعر نحوك بمحبة وبتقدير لما بدا إلي فيك من شجاعة وتصميـم على الجهاد المقدس .

الصبي : نعم أفعل ذلك إن شاء الله ، وشكرا للقائد العظيم .

* * *

الراوي : أقبل الصبي على العدو فى رباطة جاش وقوة وحماس . وما زال ينال من أعدائه وينالون منه حتى خر صريعا فى ميدان القتال . فاسرع اليه أبو قدامة وقال :

أبو قدامة : هل تريد طعاما أو ماء يا بني ؟

الصبي : لا . إني أحمد الله على ما صرت اليه . لكن لى حاجة .

أبو قدامة : مرني بما تشاء . ليس أحب الى من قضاء حاجتك ولن أنسى موقفك ما حييت وليكن ذلك عبرة وقدوة لرجالي ولكافة المجاهدين .

الصبي : (وهو يلفظ أنفاسه الاخيرة) :

اقرأ أمي .. منى السلام .. ثم إدفع اليها .. متاعى .

أبو قدامة : ومن أمك أيها الشاب البطل ؟

الصبي : أمي .. هى التى .. أعطتك .. شعرها .. قيـدا .. لفـرسك .. حين ... عجزت .. أن .. تقاتل .. فى .. سبيل الله .. تحت .. رايتك ..

أبو قدامة : بارك الله فيكم من آل بيت .

* * *

قال أبو قدامة : ثم فارق الشاب الحياة فقمت نحوه بما يجب . ثم رجعت الى أمه منفذا لوصيته فلما رأتنى أقبلت علي :

* * *

المرأة : هل جئتنى معزيا أم جئتنى مهنئا ؟

أبو قدامة : ما معنى ذلك يا أمة الله ؟

المرأة : إن كان ابنى قد مات فقد جئتنى معزيا ، وإن كان قتل فى سبيـل الله ونال ما كان يطمع فيه من الشهادة فقد جئتنى مهنئا .

أبو قدامة : إن ابنك الشجاع أبدى بطولة فى ساحة الوغى لم يبدها أحد من الرجال المقاتلين المدربين وملك اعجاب العـدو والصـديق حتى كتبت لـه الشهادة وأوصاني ـ وهو يجود بروحه ـ باقرائك السلام واعطائك متـاعه هـذا .

المرأة : الحمد لله فقد استجاب دعاءه .

أبو قدامة : وما ذاك يرحمك الله ؟

المرأة : إنه كان يدعو الله فى صلواته وخلواته ويقول فى صباحه ومسائه : « اللهم اجعلنى من الشهداء » .

عبد اللـه الزنـاد

إلى الشابي

شعر: الحبيب رحومة

رددت صوتك الليالي انبهارا ... واستحثت ركابها تتبارى
يا أبا القاسم العروبة هلت ... والوجود الذي اكفهر استنارا
أيها الشاعر الأبي المعنى ... طأطأ الدهر بعد صد وغارا
في سبيل الشعوب ضحيت لكن ... دون يأس فشدت للشعب غارا
أنت آمنت بالشعوب اتحادا ... فتحديت في الشعوب الكبارا
كنت حربا على الجمود سجالا ... في سبيل العلى ... وكنت المنارا
كنت للشعب كالسيول انبجاسا ... تخصبُ الفكر والشعورَ اخضرارا
ما تشاءمتَ إذ رموك بعيدا ... بين غابات سنديان غيارى
ما تشاءمت إن رأوك كئيبا ... تحت أرزاء ما دُهيتَ مرارا
غربةُ الفن بين قالٍ وشاكٍ ... ودعي عتل ينعى الديارا
إذ مضيت تشد نفسا تنزت ... تسأل الشمس والنجوم الحيارى
عن مصير الحياة عن سر شعبٍ ... لا تحز الحراب فيه اعتبارا
فإذا المرأة المطلة نور ... يلهم الشاعر الغريب المزارا
بينما القوم في خنوع أرادوا ... أن يعيث العدو فينا دمارا
والفتى المسلم استطاب عقوقا ... وفسوقا وخمرة وقمارا
ولكم تاجروا صغارا وشيبا ... باسم إسلامنا الحنيف اتجارا
أيها الشاعر الذي بث فينا ... ثورة الشكّ مَنْ يُقِرُّ القرارا ؟

حول كتاب "منزل تميم عاصمة الدخلة"

تأليف : د. جلول عزونه
عرض : الهادي عمران

طلعت علينا « الأخلاء » فى شهر ديسمبر 1984 بكتاب جديد عنوانه : « **منزل تميم عاصمة الدخلة** » من تأليف الدكتور : جلول عزونه .

وهذا الكتاب بالنسبة « للأخلاء » يمثل المولود التاسع والاربعين ، ولكنه مولود يختلف عن سابقيه لما له من أهمية لنا وللاجيال القادمة .

ظهر هذا الكتاب فى مائتين واثنتين وسبعين صفحة من الحجم الظريف،وقد بذل الدكتور جلول عزونه مجهودا كبيرا يشكر عليه فى البحث والتنقيب والاستكشاف وذلك بالنظر الى المراجع والمصادر والمخطوطات التى اعتمدها لاستيقاء المعلومات الصحيحة والى كل ما يتعلق بمدينة منزل تميم .. فجاء الكتاب غنيا وشافيا لكل باحث متعطش لمعرفة كل ما يتعلق بمنزل تميم فى ماضيها وحاضرها ، هذه الجوهرة الساطعة الرابضة فى قلب الدخلة .. وما أسماء المراجع والمصادر التى جاءت تذيل صفحات هذا الكتاب الا دليل على ضخامة المجهود الذى بذله الدكتور فى تقصى كل صغيرة وكبيرة عن نشأة منزل تميم وتطورها الديمغرافى والاجتماعى ودورها الاقتصادى والثقافى والسياسى والعسكرى ، وفى اعتقادى أن ذلك لابد منه لنجاح أية دراسة تاريخية وخاصة

ان كانت بهذا الحجم الذى لم يهمل أى جانب من جوانب الحياة قديما أو حديثا فى منـــزل تميـــم . .

اعتمد الدكتور فى دراسته لبعض الجوانب التاريخية الرواية الشفوية أحيانا محاولا الوصول الى اثبات أن منزل تميم مركز تجارى وبشرى موغل فى القدم . ويكثر أحيانا من سرد الروايات .. فيعود ويتراجع ليعلن : (.. **ولكنى أتقدم بهذه المعلومات الى أن يقع التثبت منها أو من نقصها..**) (1) . والحق يقال : إن استطراداته تلك لم تكن مملة وانما كانت شيقـة ، وشيقة للغايـة إذ هى أضفت على الدراسة نكهة أخرى ، وأحيانا أجد نفسى مع الدكتور وأنا أكاد أهتف به : « **أجل هذا صحيح!** » وليت كل المؤرخين يخرجون فى دراستهم ولو قليلا عن الروايات المكتوبة أو المخطوطة الى الروايات الشفوية وذلـك دفعا للضجـر ولثقل زحمة المعلومات التاريخية عـلى النفس .. ومن أدرانا أن كـل أحـداث التاريخ صحيحة وغير قابلة للنقاش ؟ والحال أن بعضها كتب لغاية فى نفس المؤرخ ، وبعضها كتب لارضاء فئة معينة فى المجتمع ، وبعضها الآخر كتب خدمة لهذا أوذاك !! وعلى كل حال فقد استطاع الدكتور جلول عزونـه أن يجمـع فى كتابه هذا بين الرواية الشفوية غير المملة والملاحظات الشخصيـة والدراسـة العلمية المعمقة والمعتمدة على الوثائق والمخطوطات مما جعله فى آخر الامر يقدم لنا دراسة مفيدة جدا تروى عطش الباحثين عن حقيقة منزل تميم بـل الدخلـة كلهـا ، ولعل هذا الكتاب يكون حافزا لشبابنا لمزيد البحـث والاطـلاع عـلى ماضيهم لأنه ــ بما احتوى عليه ــ يكون لهم مادة ثرية ذات بال . .

وأود هنا أن أضيف بعض الخواطر أوحت بها إلي هذه الدراسة وأرجو من الأخ الدكتور جلول عزونه ان يتقبل ذلك بصدر رحب كما عهدناه .

1) **الجانب المعرفى والثقافى بمنزل تميم :**

منزل تميم كانت ولا تزال منارة الوطن القبلى فى المعرفة والثقافـة والمتعارف عند التونسيين منذ القدم اذا قيـل : « **دخلة المعاويـن** » يتبادر الى الاذهـان « منزل تميم » وذلك لما عرفت به من كثرة الطلبة الوافدين عليها من كل جهات البلاد التونسية بل ومن الجزائر والمغرب وليبيا أيضا لحفظ القرآن الكريم ، ثم لمواصلة التعلم بعد ذلك فى جامع الزيتونة .. ولا أبالغ اذا قلت : ان أغلب القضاة ورجالات الفكر الذين ظهروا على ساحة الوطن القبلى تعلمـوا كثيـرا أو قليلا بمنزل تميم .. وكان لتحمس رجلات المعرفة والفكر بمنزل تميم أن ظهر

(1) من أقوال المؤلف كتاب : « منزل تميم عاصمة الدخلة » .

الفرع الزيتوني بها تلك المنارة الاولى التى عملت على انارة كامل جهة الوطن القبلي وبعث الوعي بها ، والمتخرجون منها لا يدخلون تحت حصر ، وكان من بينهم الفقيه الورع والكاتب والعالم والشاعر والأديب المنشئي الخ .. ومعظم رجالات التربية والتعليم واغلب الحكام والقضاة وحتى ضباط الشرطة المتواجدون على ساحة الوطن القبلي حاليا معظمهم من خريجي الفرع الزيتوني بمنزل تميم أو من معهدها الثانوي الذى هو أول معهد ثانوي بالدخلة بلا منازع،وقد حل مكان الفرع الزيتوني بعد اصلاح التعليم الثانوي بتونس وتوحيده وبه درس المعلم والاستاذ والدكتور ، أقول هذا - بقطع النظر عن أحياءوا على المعاش - ودليلي على ذلك احصائية رجال التعليم التى قامت بها اللجنة الثقافية المحلية بحمام الغزاز .

2) الجانب الاقتصادى لمدينة منزل تميم :

منزل تميم كانت ومازالت تمثل مركزا اقتصاديا هاما في الدخلة وذلك للاسباب التالية :

1) كانت مركزا لاستقطاب سكان الدخلة كلها وذلك لحاجتهم الاكيدة اما للخليفة أو للكاهية أو للقباضة المالية أو للتداوى فى المستشفى أو لبعض الادارات الاخرى أو لقضاء بعض شؤونهم من سوقها الاسبوعية أو للتعلم فى فرعها الزيتوني ..

2) لمنزل تميم موقع جغرافي هام بالنسبة لرقعة الدخلة فهى تقع بأقرب من شاطىء البحر ، ما بين قليبية وقربة ، وموقعها هذا بوأها مكانة مرموقة بين قرى ومدن الوطن القبلي ، فالمسافة التى تفصل بينها وبين الهوارية آخر نقطة فى شمال الدخلة تكاد تكون نفس المسافة التى تفصل بينها وبين قربة التى تعتبر آخر منطقة فى جنوب الدخلة ، وبالتالي ونتيجة لذلك فهى تقع فى وسط وفى قلب الدخلة مما ساعدها على النهوض باقتصادها أكثر وعلى مساعدتها فى الرفع من اقتصاد جارتيها قربة وقليبية وبقية قرى الوطن القبلي والدخلة عموما كما عمل موقعها الجغرافي الممتاز على أن جعل منها عاصمة للدخلة وبالتالي قلبها النابض . وما ذلك الا واقع معيش وليس من باب الدعاية السياحية او المبالغة .

3) منزل تميم تمسح أراضي شاسعة وخصبة وقد عرف سكانها منذ القديم بتفانيهم فى العمل الفلاحي ، فهم يتنافسون فى الانتاج الفلاحي ، ولم لا يتنافسون وصفقات البيع والشراء تتم أمام منازلهم كل يوم ثلاثاء ؟

ولهذه الاسباب فان بلديتها تعتبر من أغنى البلديات فى الجمهورية التونسية على الاطلاق اذا ما قيست بالبلديات التى فى مستواها ولذلك فانها كانت لوقت

غير بعيد ممولة لبعض البلديات المجاورة لها ، وأذكر هنا أن بلدية حمام الغزاز استعانت بها مرارا ومازالت بلدية منزل تميم تمد يد المساعدة ماديا وأدبيا كلما اقتضى الحال ـ فتحية للمجلس البلدى التميمى على روح العطاء والبذل ..

وهنا أريد أن أشير الى الرابطة القوية الضاربة فى القدم والتى ما تزال تربط حمام الغزاز بمدينة منزل تميم ، فلقد كان أجدادنا يعملون معا فى ميدان التجارة لتغذية العاصمة بالبيض والدواجن والتوابل والفهواكه والغلال ، اذ كانوا يسافرون على ظهور الخيل الى تونس العاصمة وطريقهم فى ذلك ـ ثنية الوسط ـ وهى طريق جبل سيدى عبد الرحمان الجديدة حاليا ، والبراكة التى كانوا يستريحون فيها من عناء السفر ما زالت آثارها قائمة الى حد الآن حذو الغابة على يمين المسافر الى تونس ما بين قرية الرحمة واكبر مرتفع قبل الاشراف على سهل سليمان ، وكانوا يسافرون جماعات لأنهم يخشون هجمات قطاع الطرق وهؤلاء لعلهم من أصل أولاد امحمد ! وهذه السفرات التجارية القديمة دليل آخر على أهمية مركز منزل تميم التجارى قديما فضلا على ما عرفت به حاليا سوقها من رواج وأهمية بالغة التأثير على كل مدن المنطقة بلا استثناء ومن ذلك نذكر ـ على سبيل المثال السوق التى ظلت تقام يوم الجمعة بقليبية سنوات عديدة دون أن يحدث لها من التوسع التجارى الذى ترجوه لذلك رأيناها فى السنوات الاخيرة تتحول من يوم الجمعة الى يوم الاثنين اليوم المتاخم لسوق منزل تميم يوم الثلاثاء وذلك لاغراء التجار الوافدين لسوقها يوم الثلاثاء بالتوغل داخل الدخلة الى سوق قليبية يوم الاثنين وبذلك يكونون قد أصابوا سوقين بسفرة واحدة . وهذا وجه من أوجه التدعيم الاقتصادى من طرف منزل تميم لكل ما حولها من المدن .

3) الجانب السياسى بعاصمة الدخلة منزل تميم :

تمثل منزل تميم بحق مدرسة حزبية بورقيبية متميزة .

وقد عرف الانسان التميمى بانه لا يرضى بالذل والعبودية ولا ينام على ضيم ولا تحول العوائق دون تحقيق ما تعلقت به همته من أهداف نبيلة . كما عرف بأنه سباق لنصرة الحق ، وهو الى جانب ذلك شهم ، كريم ، شجاع . ولنا امثلة كثيرة على ذلك وعندنا فى حمام الغزاز رجال مازالوا على قيد الحياة من بينهم الاخوين : حسن القربى وعبد السلام القربى ممن تطوعوا ضمن جماعة كثيرة العدد من منزل تميم للثورة فى فلسطين من بينهم الأخ : عبد القادر التبر وذلك سنتى 47 ـ 1948 .

وأى مدينة بالوطن القبلي قبلها سارع سكانها الى بعث شعبة دستورية بها سنة 1933 أى فى نفس السنة التى انعقد فيها مؤتمر الحزب الحر الدستورى التونسى بنهج الجبل بالعاصمة تونس .. !؟

ومن من التونسيين لم يسمع بشيخنا المناضل الحاج البشير بن فضل - أطال الله فى عمره - والذى كان سباقا وداعيا المجاهد الاكبر الزعيم الحبيب بورقيبة لعقد مؤتمر الحزب الحر الدستورى التونسى بقصر هلال ؟

والحق يقال : ان الثورة التحريرية المسلحة بالوطن القبلي كانت تأتمر بأوامر قادة منزل تميم ، وأذكر هنا أنّ مظاهرة 25 جانفى التى انطلقت من حمام الغزاز للهجوم على مركزى الجندرمة والبوليس بقليبية سنة 1952 ما كانت لتتم لو لم تسبقها تعليمات واردة من قادة منزل تميم لرجال الثورة بحمام الغزاز ، كما أذكر كذلك أن لقادة ولرجالات السياسة بمنزل تميم اليد الطولى فى الهجوم على ما عرف بعصابة اليد الحمراء والقضاء عليها بالتعاون مع ثوار حمام الغزاز فى وادى القصب قرب الغزاز .

واذكر كذلك ان شيخنا المرحوم سليمان بن قاسم بن حمودة مؤسس أول شعبة دستورية بحمام الغزاز سنة 1937 كانت له اتصالات مكثفة بقادة الحزب آنذاك بمنزل تميم وأخص بالذكر منهم الشيخ الفاضل : الحاج البشير بن فضل وكان مكتب عمله بها مدة من الزمن بل وكان متزوجا من إحدى نسائها أيضا .

وانى مهما حاولت أن آتى على كل الأنشطة الحزبية لرجالات الحزب بمنزل تميم ما استطعت ويكفى أن أقول : ان مدينة منزل تميم أصبحت قلعة للثوار أيام الثورة التحريرية المباركة وأن مساكن التلاميذ الذين كانوا يزاولون تعلمهم بالفرع الزيتونى بمنزل تميم آنذاك أصبحت مخابئ لسلاح المقاومين وملاجئ لهم .. !

ولذلك فاننا لا نعجب اذا ما رأينا أهالى حمام الغزاز يشعرون بميل الى منزل تميم اكثر من ميلهم الى أية جهة أخرى ، وانى لا أبالغ اذا قلت بأننا نتفق مع أهالى منزل تميم فى كثير من العادات وخاصة فى أسلوب التخاطب والعيش .. والغريب فعلا أن الدكتور جلول عزونه تحدث فى سياق حديثه عن العهد البونيقى عن أغلب البلدان والقرى والارياف المتواجدة بجهة الرأس الطيب حول مدينة منزل تميم ولم يشر الى حمام الغزاز ولو اشارة عابرة الا فى تعليقه على الكلمة التالية (Aguzzio) صفحة 116 وسأفرد لذلك التعليق مقالا لاحقا - ان شاء الله تعالى - مع العلم أن هناك رواية تناقلها الاحفاد عن الاجداد تقول : ان « أغاتوكل » الذى نزل بالقرب من الهوارية سنة 310 ق‌م أو سنة 311 ق‌م بجيشه وزحف على مدينة كركوان وعلى مدينة « تينس البيضاء » ، التى

قد تكون هي منزل تميم الآن وكانت آخر معركة له مع متساكني مدن ساحل الوطن القبلي بسهل قرب حمام الغزاز وهو يدعى الآن بـ (المقيتله) ، والسؤال الذي يفرض نفسه ، لماذا أهمل الدكتور عزونه حمام الغزاز ولم يشر اليها في كتابه بالرغم من أن لها وشائج قربى وعلاقات قديمة ومتينة ومتجددة بالمدينة الام منزل تميم ؟

وازدادت دهشتي أكثر لما وجدته يفرد فصلا كاملا عن بعض الآثار تحت عنوان « منزل تميم في عصور ما قبل التاريخ » وقد تحدث باسهاب عن الاماكن التي توجد بها (الخلاوي أو المغارات أو الكهوف) ولم أجد أية اشارة للمغارات الموجودة في وادي « هنشير حاروري » جنوب وادي الخطف والتي على ما أظن نادرة الشكل وقد اتخذت مخابئي وملاجئي لبعض عائلات الغزاز في الحرب العالمية الثانية .. كما أنني لم أجد ولو لفتة واحدة للكهوف الموجودة بكثرة في (الحويله) بهنشير الفرش مع الملاحظة أن الساحل الشمالي للرأس الطيب وبالتحديد في منطقة بئر الجدي توجد آثار مازال بعضها قائما في حاجة الى الدراسة — ومن باب الاعلام فقد عثر مكسرو الحجارة في مقطع جنوب الغزاز على خلاو وكهوف عجيبة ..

وبودي هنا أن يعمل رجال الفكر مستقبلا في منزل تميم أو حتى في بقية الجهة على تناول كتاب الدكتور جلول عزونه (**منزل تميم عاصمة الدخلة**) بالتحليل عنصرا عنصرا ولو في شكل محاضرات أو مسامرات حتى يتعرف الجيل الصاعد على الجهود التي بذلت من طرف أجدادهم وآبائهم والتي **خلقت من مدينتهم منزل تميم عاصمة للدخلة ومنارة لها** ..

وباختصار فان مدينة منزل تميم أو « تينس البيضاء » تعيش في أعماق كل مواطني الدخلة ، وتشدهم الى الماضي البعيد بمؤسساتها وبناءاتها ، وبمعالم أوليائها ، وبآثارها الناطقة بامجاد الماضي ، كما تهز مشاعرهم لحظة الحاضر بكل زهو وخيلاء برجالاتها ومفكريها ، وهي تحتضن كل جديد متجدد ، وتواجه المستقبل في تحد بمشاريعها العملاقة وبطاقاتها الخلاقة وبكل مرافق الحياة العصرية .

وأخيرا أرفع تحية اكبار وتقدير للدكتور جلول عزونه على هذا المجهود الطيب والذي جاء بمثابة مصباح ينير لنا بعض الجوانب التاريخية عن مدينة مدائن الدخلة ، ولعل كتابه هذا يكون سببا في ايقاظ بعض المفكرين والمؤرخين بالخصوص في بعض الولايات الاخرى لينسجوا على منواله .

وتحية ثانية .. تحية حارة للأخلاء التي ما انفكت تتحفنا وتطلع علينا كل يوم بوجه أكثرا إشراقا ..

الهادي عمران الغزي

قراءات سريعة

● فهرس مخطوطات الطب الاسلامي :

صدر عن مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باستانبول ، مؤلف جديد يحمل عنوان «فهرس مخطوطات الطب الاسلامي باللغات العربية والتركية والفارسية فى مكتبات تركيا» . وقد جاء هذا الكتاب ، الذى يحتوى على 525 ص ، فى الحجم الكبير . وهو تاليف جماعي ، شارك فى انجازه الدكتور رمضان ششن والاستاذان جميل اقيكار وجواد ايزكى ، تحت اشراف الدكتور أكمل الدين احسان اوغلى مدير عام المركز .

ويعد هذا المؤلف ، كما يتجلى ذلك من العنوان ، وثيقة مرجعية هامة . فهو مسح شامل لكتب الطب الاسلامي والمخطوطات الموجودة فى مائة وتسع وعشرين مكتبة فى تركيا باللغات العربية والتركية والفارسية . وقد ضم هذا الفهرس معلومات ضافية لاربعمائة وخمسين مؤلف ، ومائة مترجم وشارح . اما عدد الكتب التى شملها المسح فتبلغ حوالى ألف كتاب ، فيما يقرب من خمسة آلاف نسخة .

ومما يزيد هذا التاليف اهمية ، أنه غطى فترة زمنية طويلة شملت ما يناهز عشرة قرون تنطلق من القرن الرابع الى الرابع عشر الهجرى ، كما احتوى البحث على مجموعة من النسخ جاءت بخط مؤلفيها .

ومن ايجابيات هذا «المؤلف الفهرس» ، أنه كما يقول الدكتور أكمل احسان أوغلى مدير المركز فى تقديمه « أعد بالاستفادة من الفهارس والببليغرافيا المتنوعة والعديد من الدراسات التى أجريت حول الطب الاسلامي ... بالاضافة الى مراجعة الكثير من المخطوطات، الخاصة بمجال البحث .

واذا كان هذا التأليف هو أول كتاب يقدم فى نطاق سلسلة «دراسات ومصادر فى تاريخ العلوم» وذلك بمناسبة انعقاد مؤتمر الطب الاسلامى الثالث بمدينة استانبول فى شهر سبتمبر 1984 ، فانه يشكل لبنة هامة سوف يمهد دون شك الى مزيد البحوث والدراسات خدمة للثقافة والعلوم ·

● **المدارس اليهودية والايرانية فى العراق :**

صدر مؤخرا كتاب «المدارس اليهودية والايرانية فى العراق» ، وهى دراسة مقارنة احتوت على مائتين وأربع وتسعين صفحة ، من الحجم المتوسط ، وقد سعى المؤلف الدكتور فاضل البراك عبر هذه الدراسة الى توخى طريقة المقارنة التحليلية ، محاولا القاء الضوء على مختلف نقاط الالتقاء بين كل من المدارس اليهودية والمدارس الايرانية فى العراق ·

وقد توصل المؤلف ، بعد البابين الاولين اللذين خصصهما لمسح والكشف عن هذه المدارس – من حيث تأسيسها ، ووسائل عملها وغاياتها – الى الوقوف عند الاغراض الموحدة والنوايا المشتركة التى حدت بالفرس والصهاينة لبعث هذه المؤسسات التعليمية · ويتجلى ذلك واضحا خلال الباب الثالث الذى خصصه صاحب الكتاب الى اجراء المقارنة ، وانتهى به التحليل الى توافق العنصرية الصهيونية والعنصرية الفارسية على معاداة الامة العربية والاسلام·

● **الخمائل والحرف الاخضر :**

«الخمائل والحرف الاخضر» ديوان شعرى تولت اصداره مؤسسة «الاخلاء» لمؤلفه الغربى المسلمى وهو يقع فى 64 صفحة من الحجم الصغير ويتضمن مجموعة من الاشعار تعالج بالكلمة والقافية قضية التأصل الحضارى ووعى الانتماء الى الارض تدليلا على ضرورة الحفاظ على الذاتية من الذوبان والانبتات أمام التيارات والتحديات الخارجية ·

● **اشكاليات فلسفية :**

فى حجم متوسط وبصفحات بلغ عددها حوالى مائتى صفحة ، صدر عن مؤسسة الاخلاء كتاب «اشكاليات فلسفية» لصاحبه الحبيب المخ ، وهو مؤلف يتعرض بالتحليل والدراسة الى عدد من المسائل الفلسفية بدءا بالمبادىء الاساسية للفكر الفلسفى الى مجمل القضايا الهامة الاخرى كنظرية المعرفة – والجدل الاجتماعى والحرية والاخلاق والدولة والامة مما يكون لدى القارىء فكرة متكاملة عن مناهج التفكير الفلسفى فى كافة هذه المواضيع المطروحة مع الاشارة الى أن هذا الكتاب موجه فى الاساس الى تلاميذ البكلوريا باعتبار

نوعية البرامج الفلسفية التي يدرسونها في سنتهم النهائية ولذا فهو يعد مرجعا هاما لهؤلاء للتعمق أكثر في فهمهم الفلسفي أو استكمال المعلومات والاساليب التحليلية لمختلف القضايا الفلسفية .

● **التوق الى رفع مستوى اللوحة العربية :**

في أكثر من مائة وسبعين صفحة من الحجم الكبير ... احتضنت خمسا وستين صورة للوحات زيتية ومنحوتات كان الفنان السعودي عبد الحليم رضوى قد أبدعها في لحظات الالهام والذوبان ... صدر تأليف مثير ... بشكله الرائق ومضمونه الدسم ... ولغته المزدوجة (عربية انفنيزية) ...

التقديم جاء باللغتين ايضا وبيراع الفنان عمران القيسي الذي وجد نفسه مرغما على الاستشهاد بقولة مأثورة لـ «موند ريان» . «اننا لكي نصنع الواقع النقي ، من الضروري اختصار الاشكال الطبيعية الى عناصر ثابتة للشكل . ولا بد بالتالي من ارجاع اللون الطبيعي الى اللون الاول» وعبد الحليم رضوى رضخ فنيا لهيمنة هذه الظاهرة فهو فنان عربي ... «يعيش حالة الانجذاب المتوتر بين طبيعته الحافلة بالضوء وواقعه المفعم بالحركة وماضيه الزاخر بالرموز ولا بد من معاملة فائقة الدقة لكل ما يطلع به من نتاج تشكيلي ... ويختم الفنان عمران القيسي انطباعه بقوله» ومثلما شكل جواد سليم في العراق والكيالي والمدرس في سوريا ، وعمر الانسي ومصطفى خردخ في لبنان، ورمسيس يونان في مصر ، والمليجي وبلكاهية في المغرب والقريشي في الجزائر ونجا المهداوي في تونس ومصطفى الحلاج في فلسطين ، مثلما شكل هؤلاء حالة متقدمة في حركات التشكيل ضمن بلدانهم ، وجيال أبناء جيلهم والاجيال التي أعقبتهم ، يشكل اليوم تيار هذا الفنان العربي السعودي المسلم عبد الحليم رضوى ظاهرة تحفل بالاستقلالية وتطرح مفهوما ذاتيا واعيا لمهمة الفنان العربي الحديث ... حيث التوق الى رفع مستوى اللوحة العربية الى مكانتها العالمية سيما وقد بدا العالم ينتبه اليوم الى أهمية عطائنا التشكيلي المتفرد .

● **اصوات وخطوات : مقالات في القصة العربية :**

على مساحة مكانية تقدر بمائتين واثنين وسبعين صفحة من الحجم المتوسط أصدرت المؤسسة العربية للدراسات والنشر تأليفا جديدا للاديب العراقي عبد الرحمان مجيد الربيعي «أصوات وخطوات» ... ويضم مجموعة مختارة من المقالات في القصة العربية ، كان الربيعي قد نشرها تباعا ببعض الصحف والمجلات التونسية والعربية زمن اقامته المهنية بتونس ، وقد افتتح المؤلف

كتابه بتقديم واشارة لوقائع مسيرته الروائية وشهادة فى تجربته لكتابة القصة القصيرة ، ثم أورد ثلاثة فصول «المرأة العربية خاصة» ، «الرواية التونسية المعاصرة ۰۰۰ قراءة متأملة» و «قصاصون ونماذج» ۰

وأهمية هذا التأليف الذى خضع لمميزات الاسلوب الانطباعى ، تتمثل (كما ذكر الناشر) فى أن المؤلف هو من الروائيين وكتاب القصة القصيرة ، ونقداته انعكاس لمنطلقاته وتجاربه ومفاهيمه الفنية ، بالاضافة الى تلك القيمة التوثيقية البارزة من خلال حرص المؤلف على تثبيت أسماء دور النشر وسنوات طبع الكتب المتحدث عنها ۰

● **العدد الاول من المجلة العربية لبحوث التعليم العالى :**

عن المركز العربى لبحوث التعليم العالى التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، صدر العدد الاول من المجلة العربية لبحوث التعليم العالى۰ وقد بدت ملامح المنهج الذى اختارته هذه المجلة واضحة من خلال المواضيع المطروحة داخل العدد ۰۰۰ والتى جاءت خاضعة لمنهجية علمية بارزة ۰۰۰ وتصور بناء لتعليم عال يستجيب لطموحات الانسان العربى المعاصر ۰

● **عصارة ربع قرن من البحث والتنقيب :**

فى 460 صفحة من الحجم الكبير صدر عن منشورات ذات السلاسل « تأليف وثائقى حول تاريخ الكويت الحديث (1750 ــ 1965 م) ، للدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة ۰ وينقسم هذا السرد التاريخى المدعم بالصورة والوثائق والمخطوطات الى 11 فصلا من «نشأة الكويت» حتى عهد ما بعد مبارك مرورا بكافة الوقائع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى رسمت ملامح تاريخ الكويت الحديث ۰

الكتاب يعد بشكله ومحتوياته وثيقة تاريخية هامة ، سيطرت فيها المعلومة الثانية والسند الصحيح ، والاسلوب السردى الواضح والدقيق ، وقد برز من خلال هذا العمل المميز مجهود المؤلف الذى امتد على مساحة زمنية تقدر بربع قرن ۰

● **مجلة «البحوث» : من أجل اعلام عربى متميز :**

عن المركز العربى لبحوث المستمعين والمشاهدين التابع لاتحاد اذاعات الدول العربية صدر العدد الثانى عشر من مجلة «البحوث» الفصلية ، والتى

يرأس تحريرها الدكتور نواف عدوان ، وعبر صفحاتها المائة والتسعين ، تشابكت الدراسات والمواقف باللغتين العربية والانجليزية ، لتنصهر في نهاية المطاف داخل اطار علمي واحد ، فقد كتب عبد المنعم عبد الرحمان محروس عن منهجية بحوث الاتصال السكاني واستخداماتها في قياس درجة المعرفة والاتجاهات بينما أبحر الدكتور محمد الادريس العلمي عبر اشكالية الاعلام الجهوي ، أما الباحث التونسي حسان التليلي صاحب كتاب «اعلامنا المعتل» الصادر بباريس خلال العام المنسحب 1984 ... فقد وضع دراسة حول الاذاعات الحرة الموجهة للجالية العربية في باريس ، بقية البحوث والدراسات كانت باقلام باقة من رجال الاختصاص في العالم امثال حارث عبود وسوسن نايف عدوان وعاطف العبد .

وبانتهاجها لهذا الاسلوب العلمي المختص تكون هذه المجلة قد دخلت معمعة المساهمة في رسم ملامح اعلام عربي «متميز يستطيع تحصين المواطن العربي ضد الغزو الفكري وتحريك الرأي العام الدولي لادانة مختلف أشكال العدوان» كما أكد ذلك رئيس تحرير المجلة في افتتاحية العدد .

● **المجلة التونسية للدراسات الفلسفية :**

عن الجمعية التونسية للدراسات الفلسفية صدر العدد الثالث (نوفمبر 1984) من المجلة التونسية للدراسات الفلسفية التي يديرها الاستاذ عبد الكريم المراق وقد جاء هذا العدد الجديد ليجسم مساهمة هذه الجمعية في تنشيط الحوار الفكري الحر ، وتأكيد ايجابية تنوع الآراء وتباينها في اطار من العلمية الثابتة والالتزام الابداعي الواضح وقد وردت المساهمات المكونة لهذا العدد باللغتين العربية والفرنسية وباقلام نخبة من المختصين في الميدان الفلسفي .

● **الاحصاءات التربوية في الوطن العربي :**

عن ادارة التوثيق والمعلومات التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم صدرت نشرة الاحصاءات التربوية في الوطن العربي (1981 ــ 1982) متضمنة اثني عشر جزءا ألمت الماما دقيقا وشاملا بالوضع التربوي في كل الأقطار العربية ... وقد ورد هذا التاليف التوثيقي الهام في شكل بيانات وجداول وارقام وتعاليق تحليلية ، توفرت فيها المعلومة الصحيحة والسند القوي والتخطيط العلمي ، ويعتبر هذا العمل ارضية من شانها ان تيسر للباحثين مهمة رصد المؤشرات الضرورية لحصر المشاكل التربوية وطرق معالجتها .

● **المجلة العربية للمعلومات :**

وعن نفس المؤسسة أيضا صدر العدد الاول من المجلد الخامس 1984 من المجلة العربية للمعلومات ، واحتوى على العديد من المحاور المعلوماتية الهامة ، بالاضافة الى ملف شامل عن وضع مراكز المعلومات فى الاقطار العربية ، فقد كتب الدكتور محمد توفيق خفاجي ، مدير ادارة التوثيق والمعلومات بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ورئيس تحرير المجلة ، عن دور المكتبات فى النظم القطرية للمعلومات ومكانها فى البنى الاساسية ... وتناولت الاستاذة نزهة ابن الخياط مديرة الدراسات بمدرسة علوم الاعلام بالرباط بالتحليل الوضعية الراهنة للمكتبات فى المملكة المغربية ، أما السيد حسين الهبايلي أستاذ مساعد بكلية الطب بتونس فقد تعرض بالدرس للحركة المعلوماتية فى تونس ، بقية الدراسات والتحاليل كانت من وضع العديد من المختصين فى هذا الميدان الحيوى .

● **فلسطين الثورة والثقافة :**

فى مائة واربعين صفحة من الحجم المتوسط صدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تأليف عن «فلسطين الثورة والثقافة» وضعه الدكتور نافع محمد الحسن وتنوال فيه بدرس العديد من القضايا الاستراتيجية فى النضال الفلسطينى ، كالتعليم ، والتراث ، والغزو الثقافى ، وقد اعتمد المؤلف على العديد من الوثائق والمعلومات والتواريخ والارقام مضفيا على دراسته بعدا توثيقيا وتاريخيا هاما .

◆ **النقـد والحـداثة :**

فى مائتين وأربع وعشرين صفحة من الحجم المتوسط صدر عن دار الطليعة ببيروت تاليف وضعه الدكتور عبد السلام المسدى حول « النقـد والحـداثة » وقسمه منهجيا الى خمسة فصول مع مقدمة ودليل ببليوغرافى ، (الحداثة بين الادب والنقد ــ اللسانيات ولغة الادب ــ فى تعريف الخطاب الادبى ــ التضافر الاسلوبى وابداعية الشعر ــ الادب ومقولة الاجناس الادبية) يقول المؤلف فى تقديمه لهذا المجهود العلمي المتميز : « هذا كتاب مبتغاه أن يعرض بين يديك منهجا يزيح الحواجز العائقات سواء ما قام منها قسرا بين الادب والنقد أو ما تظلم على الفن القولي فشيد سياجا يعزل الشعر عن النثر أو ما أقيم منهـا تعسفا واصطناعا بين التنظير والمعالجات » . وهنا اساسا تكمـن خصـوصية هذا التاليف والطريقة المنهجية التى اعتمد عليها المؤلف ليبحر عبر مسالتين هامتين فى الادب العربى : النقد والحداثة .

مصطفى عطيـه

الاخضـــرار فـي زمـــن الجـــدب

شعر : علـي السعيـدي

وبعد يا سيـدتي ..
كي لا يطول بيننا الحديث
لا بدّ أن أقول : إنني أتيتُ من وراء هذه الأسوار
مِن قرية رجالها لا يعرفون العُلبَ الليليهْ
أطفالُهَا لا يعرفون البحرَ ...
يعشَقُونَ الأرْض والزيتون وَالملاحِمَ الشعبيّهْ
هُمْ يولدون من ذاكرة التّراب ..
يَكبُرون في بوّابة الرياح والإعصارْ
للريح يَا صاحبتِي رائحة الورود
للورود لون الفجر .. لون العشْقِ لون الإنتظارْ

* * *

آتيك من وراء صيفنا المصبوغ بالجفاف
وفي دمي قد عرّشت أغنية الصغار في العراء
لكنني ... على امتداد هذا الفجر الأزرق العينين ... المتعبَ الضياء
أظلّ أحْيا .. أزرع الرّجاء في دمي
أعانق الجياع .. أنتمي إلى معزوفة ليليّة الإيقاعْ
أمضي إلى بوتقة الذين يعشقون الأرض ...
عندها ... أرى اكتمالي في اخضرار القحط ...
في انتهاء موسم البكاء والحنين والضياعْ

* * *

يَجْتَاحُنِي حبّي وهذه المدينة التي بدون ذاكرهْ
تَنْشُرُنِي على أسوارها أغنية للأرض والبديلْ
حين تكون الأرض يا سيدتي هي البديلْ
ما أروع البديل ! ما أروع البديل !
ما أروع البديلْ !

بريد القراء

فالحة تعانق الأمل من جديد

قصة : جنات الورتتانى

خيم السكون فى تلك الساعة المتأخرة من السحر ... اتكأت « فالحه » الى شرفة بيتها معتمدة بذقنها على راحتها وقد أسندت مرفقيها الى السياج . كانت تسمع زفيفا مبهما كأنه همس النجوم الزاهرات فى السماء .

كانت « فالحه » تتوغل بعينيها فى طيات الظلام الكثيف فلا ترى شيئا.ولكن وطأة الظلام والسكون خلقت جوا شاعريا أحست به « فالحه » وانها لتزداد عجبا كلما أحست بهذا الشعور الغامر الجديد الذى ملأ كيانها وجعل نفسها تشف وتتحرر من سيطرة جسدها عليها ، فينشط عقلها وتبرز روحها محطمة الاغلال والقيود وتتفرج على نفسها .

كان شريط حياتها يتوالى أمام ناظريها أسود مخيفا . كانت الصور تمر مسرعة متلاحقة مؤلمة . تصدرت أمامها وفاة وابدها والفقر الذى ملأ حياتها بعد وفاته فأجبرها على الانقطاع عن التعلم وهى تكاد تجتاز شهادة البكلوريا ثم .. ثم .. وفجأة تقف مذهولة ويزيغ نظرها عن ذلك الفسم حتى لا ترى تلك السنين التى مرت عليها . كانت « فالحه » قد اجتازت الثلاثين من العمر، ولم تتزوج .. تقف المسكينة فى ذلك الظلام الدامس حائرة باكية رافعة يديها الى السماء متسائلة : لماذا تقسو عليها الحياة ؟ ... لماذا حرمت من والدها؟ لم لا يتقدم اليها عريس مناسب ؟

عندما مرضت والدتها أجبرتها الظروف أن تشتغل فى بيت أحد الاغنياء حاضنة لتفى بواجباتها نحو والدتها وأخيها الصغير . أتكرهها الحياة الى هذا الحد ؟ لماذا تشقى هى ويسعد غيرها ؟

وتنساب الدموع بغزارة وتمتزج بلوعة وآهات تخرجها بحرقة ويتقطب جبينها وترفرف ابتسامة مريرة على شفتيها فتضع وجهها بين يديها كأنما تحاول ان تهرب مما ترى وتسمع ...

انها طلائع الفجر المشرق عند الافق ... إنها خيوط من نور الله أضاءت فأضفت على وجه « فالحه » جمالا على جمال واشراقا على اشراق فعاد شبابها ليشرق من جديد وعادت نفسها الى اطمئنانها السابق وعانقت مع أشعة الشمس الأمل من جديد.ذلك الأمل الذى يتحدد مع النهار ويتضاءل بالانتظار.

● **محمد مزالي .. والثقافة التونسية :**

نشر الدكتور صلاح عدس في مجلة « الاذاعة » بعددها الصادر بتاريخ 1985/2/9 مقالا عنوانه : « محمد مزالي .. والثقافة التونسية » جاء فيه ما يلي :

استطاع الاديب والمفكر الكبير محمد مزالي بكفاحه الوطني والسياسي أن يصل الى منصب الوزير الاول في تونس والامين العام للحزب الاشتراكي الدستوري وبذلك تحقق حلم « افلاطون » في جمهوريته بأن يكون الفيلسوف هو الحاكم .. ويتميز الاستاذ محمد مزالي بثقافته الموسوعية التي تضعه في صف طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم .. كما يتميز أيضا بتمثله لكل من الفكر الاسلامي والفكر الغربي الحديث مما يذكرنا بالفلاسفة المسلمين الذين تمثلوا أيضا كلا من الفكر الاسلامي والفكر الفلسفي الاغريقي ثم قدموا للعالم انتاجهم الفكري الجديد . وهكذا أيضا يقدم لنا محمد مزالي فكره الفلسفي الجديد داعيا الى التحديث لا عن طريق تقليد الغرب أو نقل العلم والتكنولوجيا فقط وانما عن طريق الاصالة أي التمسك بالقيم الروحية للاسلام والتي يجد فيها كاتبنا الكبير الحل لمشكلات الحضارة الغربية التي تنهار تحت وطأة المادية .. وقد درس كاتبنا الادب والفلسفة في باريس ولذلك يتضح في انتاجه النزعة الادبية والنزعة الفلسفية التي نراها في منهجه وفي مقولاته .. واما اسلوبه اللغوي فيمتاز بالبساطة والجمال حتى ليمكننا القول : إنه في مقالاته الادبية قد ابتدع أسلوبا جديدا في العربية التي كانت تعاني الكثير في بلاد المغرب..

وقد تأثر الاستاذ محمد مزالي بسقراط والغزالي وديكارت .. أما سقراط فقد أخذ عنه الحوار وبحثه عن الحقيقة وسخريته بالمسلمات « ونزوله » بالفلسفة من البرج العاجي الى الشارع والحياة .. وأما الغزالي فقد أخذ عنه الشك والنزعة الصوفية . وأما « ديكارت » فقد أخذ عنه أيضا الشك المنهجي كي يزيل عن الانسان العربي ما أصابه من الكسل العقلي .. وقد كان لكاتبنا الكبير أكبر الاثر على الحركة الادبية والثقافية في تونس وذلك بتأسيسه اتحاد الكتاب الذى كان رئيسا له وتأسيسه أيضا مجلة « الفكر » التي لا تزال تشع بنورها الثقافي في تونس والعالم العربي منذ ثلاثين عاما وحتى الآن حيث يرأس تحريرها عميد القصة العربية في تونس وزير الثقافة البشير بن سلامه .. ولكاتبنا الوزير الاول عدة مؤلفات منها كتاب « الديمقراطية » وكتاب « من وحي الفكر » وكتاب « مواقف » وكتاب « دراسات » وكتاب « وجهات نظر » وكتاب « في دروب الفكر » وهو في كل مؤلفاته يدعو الى الحرية والديمقراطية ووحدة المغرب بل وحدة العالم العربي والاسلامي من أجل بناء حضارة جديدة .. كما يدعو الى العلم والدين معا حتى يكون الضمير الديني حارسا للانسان ضد خطورة العلم والتكنلوجيا التي تهدد العالم بأسلحتها النووية .. وهذه هي أزمة الحضارة الغربية الآن .. ويرى كاتبنا الكبير أن الاسلام هو الذى يقدم الآن الحل والانقاذ .. وهذا معنى حوار الحضارات عند الاديب والفيلسوف محمد مزالي الذى يذكرنا بابن خلدون وابن طفيل وابن رشد ..

● **حماية للمبدعين :**

اعترافا بالجميل لكل من أجهد نفسه لوضع لبنة في البناء الثقافي المتصاعد دوما ، وحماية للمبدع في ربوعنا من نوائب الدهر وعواصف الزمن ... تمت - بمقتضى أمر مؤرخ فيالخامسوالعشرين منشهر جانفي1985 - تسمية السادة : الهادى العبيدى ، عمار فرحات ، المنصف السويسى ، رشيد فرشيو ، عز الدين المدنى ، سمير العيادى ، زبير التركى وعمار الخليفى مستشارين لدى وزارة الشؤون الثقافية . ويأتى هذا الاجراء في الوقت الذى تشهد فيه الحياة الثقافية تحركا ايجابيا على جميع المستويات ، كتنظيم القطاعات ، وتركيز الهياكل ، وسن القوانين ، ومضاعفة التشجيع الادبى والمادى ، وحماية المبدع ، وضمان حسن توزيع الانتاج الابداعي ، وتدعيم التعاون الثقافي مع الخارج على أسس المعادلة بين الاخذ والعطاء ... تطبيقا عمليا لديمقراطية الثقافة ، ورفعا من شان المبدع التونسى وهذا يتماشى مع

ما لا يزال المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة يبادر به من حين الى آخر بالنسبة الى المبدعين. فشكرا للاستاذ محمد مزالي الوزير الاول على هذا المسعى وتهنئة الى الاستاذ البشير بن سلامه وزير الثقافة والى كل هؤلاء المثقفين الذين نالوا هذا التكريم بهذه التسمية .

● **ديمقراطية الثقافة :**

إيمانا بأن صناعة الثقافة ليست حكرا على وزارة الثقافة ، حرص السيد البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية على تشريك كافة القوى العاملة بالقطاع الثقافي فى وضع برامج العمل الثقافي وخططه ، وفى هذا الاطار اجتمع يوم الثلاثاء 12 ديسمبر 1984 بمقر الوزارة بأعضاء جمعية السينمائيين التونسيين ، والجامعة التونسية لنوادي السينما ، وقد أطلع الحاضرون السيد البشير بن سلامه على برامج عملهم للسنة الجديدة كما أعلموه بمشاركة السينمائيين التونسيين فى المهرجان التاسع للسينما الافريقية بأوغادوغو عاصمة بوركينا فاسو الذى انطلق فى الثالث والعشرين من شهر فيفرى لينتهى فى الثانى من شهر مارس 1985 ، وقد أكد السيد البشير بن سلامه على استعداد الوزارة لمساعدة الجمعيات الثلاث على تطبيق برامجها مبرزا الاهمية التى توليها الحكومة التونسية للقطاع السينمائي ، داعيا جميع الاطراف للمساهمة بكل ما لديها من امكانيات فى مسيرة التنمية الثقافية . كما أبرز السيد وزير الشؤون الثقافية حرص تونس على تنمية علاقاتها فى ميدان السينما مع بقية بلدان العالم وذلك بالمشاركة فى التظاهرات الاجنبية واقامة مثيلا لها بتونس .

● **الجوائز القومية فى الآداب والفنون لسنة 1984 :**

تحت اشراف السيد البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية ، أجتمعت لجنة منح الجوائز القومية فى ميادين الآداب والفنون التى تم احداثها بمقتضى الأمر عدد 955 لسنة 1984 فى الفترة الفاصلة بين أواخر شهر ديسمبر 1984 وأوائل شهر جانفى 1985 ... وقررت اسناد جوائزها لسنة 1984 على النحو التالى :

الآداب : د. عبد السلام المسدى .
التاريخ : د. عبد الجليل التميمى
الآثار : د. محمد فنطر .
الموسيقى : عز الدين العياشى .
السينما : الناصر خمير .

المسرح : منى نور الدين .
الفنون التشكيلية : عمار فرحات
النحت : زبير التركى .
التصوير الشمسى : محمد العائب
الحرف الفنية : علي الدواس .

وقد تم حجب الجائزة فى قطاعى التراث والرقص ، لعدم توفـر الشروط المطلوبة فى المرشحين لهما ... ومن المتوقع أن يشرف السيد محمد مزالى ، الوزير الاول والامين العام للحزب نيابة عن المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة على اسناد هذه الجوائز فى حفل تقيمه وزارة الشـؤون الثقـافية فى الايام القليلة القادمة ، ولنا عودة مع تغطية للحدث فى عدد قادم .

● **مصـر تحيـي ذكـرى الاديـب والنـاقد د. زكـي مبـارك :**

التأمت بمصر الجديدة ندوة أدبية هامة يوم 26 جانفى 1985 احياء لذكرى الأديب والناقد د. زكي مبارك ، وحضـر هذه النـدوة عدد كبيـر من أدبـاء ومفكرى مصر والعالم العربى كان فى مقدمتهم : الأميـر صقـر القـاسمى ، و د. مختار الوكيل ، والشاعرة العراقية لميعة عباس عمارة ، والاديب التونسى رشيـد الـذوادى ، والشاعـر الفلسطينى علي هـاشم رشيـد ، والشاعـر محمود خليفة غانم ، والشاعر أحمد عبد الهادى ، والناقد محمد عبد العـال وغيرهم ... والقيت بحوث وقصائد تتعلق بنضالات هذا المفكر العربى الكبير ومعانـاته .

ومن بين هذه الدراسات : دراسة الدكتور مختار الوكيل عن صلته بزكي مبارك ، وأخرى للميعة عباس عمارة عن : د. زكي مبارك فى بغداد ، ورشيد الذوادى عن المعارك الادبية لزكي مبارك ونضالاته الفكرية والسياسية .

وقد تحدث رشيـد الـذوادى عن نشـأة د. زكي مبارك فى (سنتريس) وعن ذكرياته فيها مع حبيبته ، ثم تناول جهاد د. زكي مبارك فى أيام ثـورة 1919 حيث كان د. زكي مبارك فى مقدمة الشبان الثـائرين على الاستعمـار البريطانى وتعرض الى ألوان من شعـره ونثـره وخطبه فى هذه الثورة التى انتهت به الى الاعتقال والسجن .

وفى خـاتمـة دراستـه تعـرض الى مـا تـوليـه مجلـة « الفكـر » مـن اهتمام لأدب الدكاترة زكي مبارك وقرأ مقتطفات من دراسته التى صدرت فى السنة الفارطة فى « الفكر » بعنوان : « زكي مبارك الأديب الفلاح » .

● **فـي واحتـي الخضـراء :**

صدر بالقاهرة أخيرا ديوان الشاعرة زكية حجازي عن رابطة الأدب الحديث بالقاهرة وكتب مقدمة الديوان الاستاذ رشيد الذوادي .

● **دكتـوراه دولـة عـن أبـي القـاسم الشـابي :**

سجل أحد طلبة جامعة الأزهر هذه السنة رسالة دكتوراه دولة عن الشابى ويشرف على هذه الرسالة الدكتور محمد سعدي فرهود رئيس جامعة الأزهر.